الباب السادس

أطباء العصر الأيوبى

من ٥٧٠ إلى ٦٤٨ هـ

من ١١٧٤ إلى ١٢٥٠ م

obeikandl.com

مقدمة الباب الخامس

كان الأيوبيـون ميالين إلى نشـر العلم، وعضدوا وسـاندوا العلماء والأطباء، من المسـلمين وغير المسلمين، واهتموا بإنشاء البيمارسـتانات. وقد أنشأ صلاح الدين البيمارستان الناصرى أو الصلاحى. وقد قال القاضى الفاضل فى متجددات سـنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م : « أمر السـلطان صلاح الدين يوسـف بن أيوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء وأختير مكاناً بالقصور، وأفرد برسم من جملة الرباع الديوانية، مشاهرة مبلغها مائتا ألف دينار وغلات جهتها الفيوم واستخدم له أطبـاء وكحالين وجراحين وشـارفاً وعاملاً وخداماً ووجد النـاس به رفقاً وبه نفعاً».

ويقـول ابن جبير عند زيارته للقاهرة سـنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م وذلك فى عهد السلطان صلاح الدين: « ومما شاهدناه فى مفاخر هذا السلطان، المارستان الـذى بمدينة القاهرة وهو قصر من القصور الرائعة، حسـناً واتسـاعاً. أبرزه لهذه الفضيلة تَأجراً واحتساباً، وعين قيماً من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها، ووضعت فى مقاصـير ذلك القصر أسـرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسـى. وبين يـدى ذلك القيم خدمه يتكلفون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشـية، فيقابلون من الأغذية والأشـربة بما يليق بهم. وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطع للنسـاء المرضـى. ولهذا أيضاً مـن يكفلهن ويتصل بالموضعين المذكورين موضع متسـع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك من الحديد اتخذت مجالس للمجانين. ولهم أيضـاً من يتفقد فى كل يوم أحوالهم ويقابلها بما يصلح لها. والسـلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسـؤال ويؤكد فى الاعتنـاء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد».

ومـن الأطباء الذيـن عملوا فى هذا البيمارسـتان: رضى الديـن الرحبى، إبراهيـم بن الرئيـس ميمون، وموفق الديـن أبو العباس ابـن أبى أصيبعة،

والشيخ السديد بن أبى البيان صاحب الدستور البيمارستانى، والقاضى نفيس الدين بن الزبير.

وقد ذكر المقريزى أن السلطان صلاح الدين سار إلى الإسكندرية فى السابع عشر من شوال سنة ٥٧٧ هـ، ودخلها فى الخامس والعشرين من شهر شوال وشرع فى قراءة الموطأ، وأنشأ بها بيمارستانا وداراً للمغاربة ومدرسة على ضريح المعظم توران شاه.

وقد كان كثير من الأطباء من النصارى واليهود، وقد نعموا جميعاً برعاية الأيوبيين وحمايتهم.

وفى عصر الأيوبيين كان فى مصر من الأطباء من خلد ذكرهم، خاصة بما خلفوا من مصنفات واكتشافات وإضافات علمية جديدة. ويذكر التاريخ ابن النفيس وإكتشافه للدورة الدموية الصغرى، وعبد اللطيف البغدادى الذى دون ملاحظاته القيمة على ماكتبه جالينوس عن العظام البشرية، وابن البيطار العشاب الشهير وما أضافه من معلومات إلى النباتات الطبية والعقاقير، والكحال بن القضاعى وابن الزبير وغيرهم.

وعلى رغم قصر الفترة التى حكم فيها الأيوبيون مصر، والتى لاتزيد على ٧٦ سنة، فإن العدد الكبير من الأطباء والعشابين الذى سجله لنا التاريخ، ومؤلفاتهم التى طبع بعضها وكثير منها مازال مخطوطاً، كل هذا يدل دلالة واضحة على ما اتسم به عصر الأيوبيين من مساندة للعلم والعلماء، مما أدى إلى ازدهار الفكر والعلم والمعرفة.

الموفق بن شرعة

ت ٥٧٩ هـ / ١١٨٤ م

إسرائيلى مشهور بإتقان الصناعة وجودة المعرفة فى علم الطب والكحل والجراح، خدم الملك الناصر صلاح الدين بالطب لما كان بمصر. وكان دمثاً خفيف الروح كثير المجون، يشعر ويلعب بالقيثارة.

وقد مات بالقاهرة سنة ٥٧٩ هـ[١].

أبو البيان بن المدور

ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ ـ ١١٨٥ م

لقب بالسديد، وكان يهودياً قراء عالماً بصناعة الطب، حسن المعرفة بأعمالها، وله مجربات كثيرة، وآثار محمودة. وخدم الخلفاء الفاطميين فى آخر دولتهم، أى أيام العاضد (سبق الحديث عنه فى هامش) وبعد ذلك خدم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى. وكان يرى له ويعتمد على معالجته. وله فيه حسن ظن وكانت له الجامكية[٢] الكثيرة والافتقاد المتوفر[٣].

وعمر الشيخ أبو البيان بن المدور، وتعطل فى آخر عمره من الكبر والضعف، من كثرة الحركة والتردد إلى الخدمة، فأطلق له الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى رحمه الله فى كل شهر أربعة وعشرين ديناراً مصرية تصل إليه ويكون ملازماً لبيته، ولايكلف خدمة. وبقى على تلك الحال وجامكيته تصل إليه نحو عشرين سنة. وكان فى مدة انقطاعه فى بيته لايخل بالاشتغال فى صناعة الطب، ولا يخلو موضعه من التلاميذ والمشتغلين عليه، والمستوصفين منه. وكان لا يمضى إلى أحد لمعالجته فى تلك المدة إلا من يعز عليه جداً، ويقول ابن أبى أصيبعة (٣ /١٩١): ولقد بلغنى عنه من ذلك أن الأمير بن منقذ لما وصل من اليمن، وكان قد عرض له استسقاء بعث إليه ليأتيه ويعالجه بالمعالجة، فاعتذر إليه على قرب موضعه منه ولم يمض إليه، وبعث إليه القاضى الفاضل وكيله ابن سناء الملك[٤]، وقصده فى ذلك حتى مضى إليه ووصف له ما يعتمد عليه فى المداواة.

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٩٢

(٢) الجامكية: الرواتب والمنح

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٩٠

(٤) هو القاضى السعيد أبو القاسم هبه الله بن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبى عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدى، الشاعر المصرى المشهور. وقد اختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسمى المختصر « روح الحيوان » وتوفى فى العشر الأوائل من رمضان سنة ٦٠٨ هـ، ويقدر أن يكون مولده فى حدود سنة ٥٥٠ هـ، وفيات الأعيان ٦/٦١ ـ ٦٦

وعاش أبو البيان ابن المدور ثلاثاً وثمانين سنة، وتوفى سنة ٥٨٠ هـ / بالقاهرة. وكان من تلاميذه زين الحساب. ولأبى البيان من الكتب: مجرباته فى الطب.

الرئيس هبة الله
ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م

إسرائيلى فاضل مشهور بالطب، جيد الأعمال، حسن المعالجة، وكان فى آخر دولة الخلفاء الفاطميين، وخدمهم بصناعة الطب، وكانت له منهم الجامكية الوافرة والصلات المتتالية، وبقى بعدهم فى ظل حكم بنى زنكى والأيوبيين، يعيش فيما أنعم به عليه الفاطميون حتى توفى، وكانت وفاته فى سنة خمسمائة ونيف وثمانين للهجرة[1].

أبو سليمان داود بن أبى المنى أبى فانه
ت ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م

كان طبيباً نصرانياً بمصر فى زمن الخلفاء، وقد كان يمارس التنجيم والطب فى القدس أثناء حكم الصليبيين فيها (٤٩٠ –٦٤١ هـ/١٠٩٦–١٢٩١م) ثم انتقل إلى القاهرة فى أواخر حكم الفاطميين (حوالى سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م) واشتهر فيها بممارسة التنجيم والطب.

ويحكى ابن أبى أصيبعة[2] إن الحكيم أبو سليمان فى زمان الخلفاء الفاطميين، وكان له خمسة أولاد، فلما وصل الملك مارى (أحد ملوك الصليبيين) إلى الديار المصرية أعجبه طبه فطلبه من الخليفة بها، ونقله هو وأولاده الخمسة إلى البيت المقدس. ونشأ للملك مارى ولد فجذم فركب له الترياق الفاروق بالبيت المقدس. وترهب وترك ولده الأكبر وهو الحكيم المهذب أبو سعيد خليفته على منزله وأخوته.

ولما استولى صلاح الدين الأيوبى على مصر فى سنة ٥٦٤ هـ / ١١٧٤ م، ظهر لابن فانه بينما كان يرصد النجوم ذات يوم، أن الملك صلاح الدين سيدخل القدس فاتحاً، فأرسل ابنه أبا الخير إلى مصر ليبشر الملك الأيوبى بهذا الطالع المشرف[3]. فلما تحقق الخبر وانتصر الملك الأيوبى على الصليبيين. وكان فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف أيوب للقدس فى ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م.

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٩٢
(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ٢٠١
(٣) ابن أبى أصيبعة ٣ / ٢٠٢

غدا أبو سـليمان ابن فانه فى نظر صلاح الدين وآله، يحمل البركة والنفس الطيبة، فأحبوه واحترموه وأكرموه، وآمنوا بفنه ورفعوا من شأنه، والتفتوا إلى رعاية أولاده.

وتوفى أبو سليمان بن فانه بعد دخول صلاح الدين الأيوبى إلى القدس. وقد أعقب خمسة بنين، إمتهن أربعة منهم صنعة الطب التى تعلموها على أيديهم، أما خامس أبنائه أبو الخير بن أبى سـليمان فانخرط فى سلك الجندية لمحاربة الصليبيين – وأصبح ابو الخير طبيباً معروفاً هو رشيد الدين أبو حليقة، وسيأتى ذكرهم فيما بعد.

أبو الفضائل بن الناقد

ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٩ م

يلقب المهذب، وهو أبو الفضائل مهذب الدين بن الناقد، وكان طبيباً مشهوراً، وعالماً مذكوراً، له العلم الوافر والأعمال الحسنة والمداواة الفاضلة.

وكان يهودياً مشتهراً بالطب والكحل، إلا أن الكحل كان أغلب عليه، وكان كثير المعاش، عظيم الاشتيام، حتى إن الطلبة والمشتغلين عليه كانوا أكثر أوقاته يقرءون عليه، وهو راكب وقت مسيره وافتقاده للمرضى[1]. ومن تلاميذه الشيخ السديد بن أبى البيان.

ويذكر ابن أبى أصيبعة أن والده قال: كان قد أتى إلى أبى الفضائل بن الناقد صاحب له من اليهود وضعيف الحال، وطلب منه أن يرفده بشىء فأجلسه عند داره، وقال له: معاشى اليوم بختك ورزقك، وركب ودار على المرضى والذين يكحلهم، ولما عاد أخرج عدة الكحل وفيها قراطيس كثيرة مصرورة، وشرع يفتح واحدة واحدة منها، فمنها ما فيها الدينار والأكثر، ومنها ما فيها دراهم ناصرية، وبعضها فيها دراهم سواد، فاجتمع من ذلك ما يكون قيمته الجملة نحو ثلاثمائة درهم سواد فأعطاها ذلك الرجل. ثم قال: والله جميع هذه الكواغد ما أعرف الذى أعطانى الذهب أو الدراهم، أو الكثير منها أو القليل، بل كل من أعطانى شيئاً أجعله فى عدة الكحل، وهذا يدل على معاش زائد وقبول كثير.

وتوفى أبو الفضائل فى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٩ م، بالقاهرة، وأسلم ولده أبو الفرج. وكان طبيباً وكان كحالاً أيضاً.

ولأبى الفضائل بن الناقد من الكتب : مجرباته فى الطب.

❊ ❊ ❊

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٩١

داود

ت ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م

ويقال له عبد الله الحكيم الفاضل الشيخ السديد أبو منصور بن الشيخ السديد على بن داود بن المبارك الطيب. قرأ الطب على والده وأبى نصر عدلان بن عين زربى وسمع بالإسكندرية من أبى الطاهر إسماعيل بن عوف وانتهت إليه رياسة الأطباء بالديار المصرية وخدم ملوكها وحصل دنياً واسعة جداً، وتخرج به جماعة. وتوفى فى منتصف جمادى الآخرة سنة ٥٩١ هـ وقيل فى العام الآتى[١].

الشيخ السديد رئيس الطب

ت ٥٩٢ / ١١٩٥م

هو القاضى الأجل السديد أبو المنصور عبدالله بن الشيخ السديد أبى الحسن على، وكان لقب القاضى أبى منصور شرف الدين، وإنما غلب عليه لقب أبيه وعرف به وصار له علماً بأن يقال الشيخ السديد، وكان عالماً بصناعة الطب خبيراً بأصولها وفروعها، جيد المعالجة كثير الدراية، حسن الأعمال باليد[٢].

وخدم الشيخ السديد عدداً من الخلفاء الفاطميين، وحظى فى أيامهم، ونال من جهتهم من الأموال الوافرة والنعم الجسيمة مالم ينله غيره من سائر الأطباء الذين كانوا فى زمانه، ولا قريبا منه، وكانت له عندهم المنزلة العليا والجاه الذى لا مزيد عليه، وعمر عمراً طويلا، وكان أبوه طبيبا للخلفاء الفاطميين مشهورا فى أيامهم.

ويحكى ابن أبى أصيبعة عن القاضى نفيس بن الزبير[٣] – وكان قد لحق الشيخ السديد وقرأ عليه صناعة الطب– أنه قال : قال لى الشيخ السديد رئيس الطب: إن أول من مثلت بين يديه من الخلفاء وأنعم على الآمر بأحكام الله[٤] وذلك أن أبى كان طبيباً فى خدمته، وكان مكيناً عنده رفيع المنزلة فى أيامه.

(١) أحمد عيسى – معجم الأطباء ١٨٥، وتاريخ الإسلام للذهبى من سنة ٥٨١–٥٩٦ هـ

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٨٠

(٣) القاضى الحكيم نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكولى، والكولم من بلاد الهند، توفى بالقاهرة فى سنة ٦٣٦ هـ

(٤) هو أبو على المنصور الملقب الآمر بأحكام الله بن أبى القاسم أحمد المستعلى بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدى، ولد يوم الثلاثاء الثالث عشر المحرم وقيل ثانى المحرم سنة ٤٩٠ هـ بالقاهرة. وتولى وعمره خمس سنين، وتوفى الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ، وكانت مدة خلافته ثمانية وعشرين سنة وتسعة أشهر وأيام. وفى أيامه قصد برديل الأفرنجىBaldwin الديار المصرية ليأخذها وانتهى إلى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها. ورحل عنها وهو مريض، فهلك فى الطريق قبل وصوله إلى العريش، فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هناك. فهى ترجم إلى اليوم (أيام بن خلكان)، ورحلوا بجثته فدفنوها بقمامه. وسبخة البردويل التى فى وسط الرمل على طريق الشام منسوبة إلى برديل المذكور، وفيات الأعيان ٥ : ٢٩٩ – ٣٠٢

قال: « وكنت صبياً فى ذلك الوقت فكان أبى يهب فى كل يوم دراهم، وأجلس عند باب الدار التى لنا، وأفصد جماعة فى كل نهار، حتى تمرنت وصارت لى دربة جيدة فى الفصد، وكنت قد شدوت شيئاً من صناعة الطب فذكرنى أبى عند الآمر، وأخبره بما أنا عليه، وأننى أعرف صناعة الفصد، ولى دربة جيدة بها، فاستدعانى فتوجهت إليه، وأنا بحالة جميلة من الملبوس الفاخر، والمركوب الفاره، المتحلى بمثل الطوق الذهب وغيره. وأننى لما دخلت إليه القصر مشيت مع أبى حتى صرنا بين يديه فقبلت الأرض، وخدمت فقال لى افصد هذا الأستاذ، وكان واقفاً بين يديه فقلت السمع والطاعة، ثم جىء بطشت فضة وشددت عضده، وكانت له عروق بَينة الظهور ففصدته وربطت موضع الفصادة فقال لى أحسنت، وأمر لى بأنعام كثيرة وخلع فاخرة، وصرت من ذلك الوقت متردداً إلى القصر وملازماً للخدمة، وأطلق لى من الجارى مايقوم بكفايتى على أفضل الأحوال التى أوملها، وتواترت على من الهبات والاطلاقات الشىء الكثير.

ويقول ابن أبى أصيبعة: «حدثنى أسعد الدين عبد العزيز بن أبى الحسن أن الشيخ السديد حصل له فى يوم واحد من الخلفاء فى بعض معالجاته لأحدهم ثلاثون ألف دينار. كما يقول: إن القاضى نفيس الدين بن الزبير ذكر أن الشيخ السديد لما ظهر ولدى الحافظ لدين الله[1] حصل له فى ذلك الوقت من المال نحو خمسين ألف دينار وأكثر من ذلك سوى ماكان فى المجلس من أوانى الذهب والفضة فإنها وهبت جميعها له».

ومما يدل على همته العاليه وإنعامه، ماحكاه الشيخ رضى الدين الرحبى عنه لابن أبى أصيبعة[2] قال: لما وصل المهذب بن النقاش إلى الشام من بغداد، وكان فاضلا فى صناعة الطب، أقام بدمشق لمدة، ولم يحصل له بها ما يقوم بكفايته، وسمع بالديار المصرية وإنعام الخلفاء فيها وكرمهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ولاسيما من أرباب العلم والفضل، وتاقت نفسه إلى السفر. وتوجهت أمانيه إلى الديار المصرية فلما وصلها أقام بها أياماً، وكان قد سمع بالشيخ السديد طبيب الخلفاء، وماهو عليه من الأفضال وسعة الحال، والأخلاق الجميلة والمروءة العزيزة فمشى إلى داره وسلم عليه، وعرفه بصناعته، وإنه إنما أتى قاصداً إليه، ومفوضاً كل أموره لديه، ومغترفاً من بحر علمه ومعترفاً بأن مهما يصله من جهة الخلفاء فإنما هو من بره، ويكون معتدا له بذلك فى سائر عمره. فتلقاه الشيخ السديد بما يليق بمثله وأكرمه غاية الإكرام، ثم بعد ذلك قال له: كم تؤثر أن يطلق لك من الجامكية إذا كنت مقيما بالقاهرة؟ فقال: يامولانا يكفينى ما تراه

(١) هو أبو الميمون عبد المجيد، الملقب الحافظ، ابن أبى القاسم محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى عبيد الله. وقد بويع بالقاهرة يوم مقتل ابن عمه الآمر (مر ذكره فى هامش سابق). ولكن أبو على أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى غلب عليه وبويع ولكن بعد قتله بويع الحافظ مرة أخرى، ولد الحافظ بعسقلان سنة ٤٦٧ هـ، وقيل ٤٦٦ هـ، وتوفى آخر ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخره سنة أربع، وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة للهجرة. وفيات الأعيان ٣ / ٢٣٥ – ٢٣٧.

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٨٢

وما تأمر به. فقال له قل بالجملة فقال: والله ان أطلق لى فى كل شهر من الجارى عشرة دنانير مصرية فإنى أراهـا خيراً كثيراً. فقال لـه: لا ! هذا القدر ما يقوم بكفايتك على ما ينبغى. وأنا أقول لوكيلى أن يوصلك كل شـهر خمسة عشـر ديناراً مصرية وقاعة قريبة منى تسـكنها، وهى بجميع فرشها وطرحها، وجارية حسـناء تكون لك. ثم أخرج له بعد ذلك خلعة فاخرة ألبسـه إياها وأمر الغلام أن يأتى له ببغلة من أجود دوابه فقدمها له، ثم قال له: هذا الجارى يصلك فى كل شـهر، وجميع ماتحتاج إليه من الكتب وغيرها فهو يأتيك على ما تختاره، وأريد منك أننا لانخلو من الاجتماع والأنس وأنك لاتتطاول إلى شـىء آخر من جهـة الخلفـاء، ولا تتردد إلى أحد من أرباب الدولة فقبل ذلك منه، ولم يزل ابن النقاش مقيماً فى القاهرة على هذه الحال، إلى أن رجع إلى الشام، وأقام بدمشق إلى حين وفاته.

وقد قرأ الشـيخ السـديد صناعة الطب واشـتغل على أبى نصر عدنان بن العين زربى، وقد خدم الشيخ السديد عدداً من الخلفاء هم:

١- الآمـر بأحـكام الله، حتـى وفاته فى يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة من سـنة ٥٢٤ هـ (انظر هامش سابق).

٢- الحافظ، حتى اليوم الخامس من جمادى الآخرة من سنة ٥٤٤ هـ (انظر هامش سابق).

٣- الظافر بأمر الله حتى التاسع والعشرين من المحرم سنة ٥٤٩ هـ (انظر هامش سابق).

٤- الفائز بنصر الله (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م).

٥- العاضـد لديـن الله حتى التاسـع من المحرم سـنة ٥٦٧ هـ /١١٧٢ م، وهو آخر الخلفـاء العبيدين الفاطميين.

٦- الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (انظر هامش سابق).

ولم يزل الشـيخ السـديد رئيساً على سـائر المتطببين إلى حين وفاته، وكان يسكن فى القاهرة عند باب زويلة فى دار قد اعتنى بها وبولغ فى تحسينها، وجرت عليه فى أواخر عمره محنة : وذلك أن داره هذه احترقت، وذهب له فيها من الأثاث والآلات والأمتعة شـىء كثير جداً، ولما تهدم بعضها من النار وقعت بَرانى[1] كبار وخوابى[2] ممتلئة من الذهب المصرى. وتكسـرت وتناثر فيما بين الحريق والهدم منها الذهب إلى كل ناحية، وشاهده الناس وبعضه قد انسبك من النار، وكان مقدار ذلك ألوفاً كثيرة جداً.

وتوفى الشيخ السديد رحمه الله بالقاهرة فى سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٣ م.

---

(١) البُرنية : شبه فخارة ضخمة خضراء، وربما كانت من القوارير التخان الواسعة الأفواه، وهى اناء من خزف، اللسان : برن

(٢) الخب، : ماخبىء.

ابن جميع

ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م

هو الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله بن زين بن حسن بن افرائيم بن يعقوب بن إسماعيل بن جميع الإسرائيلي، من الأطباء المشهورين، والعلماء المذكورين والأكابر المتعينين. وكان متفنناً فى العلوم جيد المعرفة بها كثير الاجتهاد فى صناعة الطب حسن المعالجة جيد التصنيف، وقرأ صناعة الطب على الشيخ الموفق أبى نصر عدنان العين زربى ولزمه مدة. وكان مولد ابن جميع ومنشؤه بفسطاط مصر. وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظى فى أيامه، وكان رفيع المنزلة عنده عالى القدر، نافذ الأمر يعتمد عليه فى صناعة الطب، وركب له الترياق الكبير الفاروق، وكان لابن جميع مجلس عام للذين يشتغلون عليه بصناعة الطب؛ وذكر أنه كان كثير التحصيل فى صناعة الطب، متصرفاً فى علمها فاضلاً فى أعمالها[1] ومن تلاميذه الشيخ السديد بن أبى البيان.

ويحكى ابن أبى أصيبعة[2] أن بعض المصريين حدثوه أن ابن جميع كان جالسًا فى دكانه عند سوق القناديل بفسطاط مصر، وقد مرت عليه جنازة فلما نظر إليها صاح بأهل الميت، وذكر لهم أن صاحبهم لم يمت، وأنهم إن دفنوه فإنما يدفنوه حياً. قال: فبقوا ناظرين إليه كالمتعجبين من قوله، ولم يصدقوه فيما قال.

ثم إن بعضهم قال لبعض: هذا الذى يقوله ما يضرنا إننا نمتحنه، فإن كان حقاً فهو الذى نريده، وإن لم يكن حقاً فما يتغير علينا شيء فاستدعوه إليهم، وقالوا: بين الذى قد قلت لنا، فأمرهم بالمسير إلى البيت وأن ينزعوا عن الميت أكفانه، وقال لهم: إحملوه إلى الحمام، ثم سكب عليه الماء الحار، وأحمى بدنه ونطله بنطولات، وعطسه فرأوا فيه أدنى حس وتحرك حركة خفيفة، فقال: أبشروا بعافيته! ثم تمم علاجه إلى أن أفاق، فكان ذلك مبدأ اشتهاره بجودة الصناعة والعلم، وظهرت عنه كالمعجزة. ثم إنه سئل بعد ذلك من أين علمت أن ذلك الميت، وهو محمول وعليه الأكفان أن فيه روحاً ؟ فقال: إنى نظرت إلى قدميه فوجدتها قائمين، وأقدام الذين قد ماتوا تكون منبسطة، فحدست أنه حى، وكان حدسى صائباً.

وبينما رثاه يوسف بن هبة الله بن مسلم بقصيدة طويلة يقول فيها عن ابن جميع:

وأفضل أهل العصر علماً وسؤددا ... وأفضلهم فى مشكل القول منهم

فإننا نجد ابن المنجم المصرى، وكان شاعراً مشهوراً، خبيث اللسان، وله أهاجٍ كثيرة فى ابن جميع ومن ذلك:

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٨٦ – ١٨٧

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٨٧

(المنسرح):

لابن جميـــع فى طبـــه حمـــق　　يســـب طـب المســيح مـن سـببه
وليس يـــدرى مافى الزجـاجـــة من　　بـــول مـريـــض ولو تمضمض بـــه
وأعجـــب الأمـــر أخـــذه أبـــدا　　أجـــرة قتـــل المريض من عصبـــه

وله أيضاً (المتقارب):

كذبت وصفحـــت فيمـــا ادعـــيت　　وقلـــــت أبو جميـــع اليهـــودى
وليس جميـــع اليـــــهودى أبـــاك　　ولكن أبـــوك جميـــع اليهـــــود

ولابـــن جميع عديد من المؤلفات والمصنفات، جيدة التأليف، كثـيرة الفوائد، منتخبة العلاج. وكان له نظـرة فـى العربية، وتحقيق للألفاظ اللغوية، وكان لا يقرأ إلا وكتاب الصحاح للجوهرى حاضر بين يديه، ولا تمر كلمة لغة لم يعرفها حق المعرفة إلا ويكتشفها منه، ويعتمد على ما أورده الجوهرى فى ذلك.

ومن كتبه :

١- كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد، أربع مقالات.
٢- كتاب التصريح بالمكنون فى تنقيح القانون.
٣- رسالة فى طبع الإسكندرية وحال هوائها ومياهها ونحو ذلك من أحوالها وأحوال أهلها.
٤- رسالة إلى القاضى المكين أبى القاسم على بن الحسين فيما يعتمده حيث لا يجد طبيباً.
٥- مقالة فى الليمون وشـرابه ومنافعه، منها نسخة خطية فى طوب قابى سراى، رقم ٧٢٩٧ A ٢١٣٦، وهى سـادس ما فى المجموع، ونسـخة لدى ورثة خدورالحكيم فى حلب، سـباط : الفهرس ١ : ٧٦، الرقم ٦٢٠[1].
٦- مقالة فى الراوند ومنافعه، منها نسـخة خطية لدى ورثة خدور الحكيم فى حلب، سـباط : الفهرس ١ : ٧٦، الرقم ٦٢١[2].
٧- مقالة فى الحدبة.
٨- مقالة فى علاج القولنج، واسمها الرسالة السيفية فى الأدوية الملوكية.
٩- خصائص الليمون وما يركب منه[3] ومنها نسخة خطية فى مكتبة رضا رامبور بالهند الرقم ٣١٦٧ [٢] فى ١٢ ورقة.
١٠- رسالة فى خواص الليمون، منها نسخة خطية فى مكتبة رامبور، الرقم ٣١٦٧ [٣].

(١) كوركيس عواد ص ٢٤
(٢) نفســـه ص ٢٣
(٣) الأعلام للزركلـــى ٨ / ٧٢

١١- رسالة فى الهندباء، منها نسختان خطيتان فى جوته، أرقامهما ١١٥٨ [٢٦]، ١٩٣٠ [٥].
١٢- مقالة فى أصناف الراوند، منها نسخة خطية ضمن مجموعة فى طوب قابى سراى، الرقم A. 2136 7297

وقد اختصر موسى الكوهين الحلبى (كان حياً سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م) مقالتين هما :

[١] مختصر مقالة هبة الله ابن جميع فى الراوند ومنافعه، منه نسخة خطية فى حلب لدى ورثة خدور الحكيم. (سباط : الفهرس : الرقم ٣١٨٦).

[٢] مختصر مقالة هبة الله بن جميع فى الليمون ومنافعه، منه نسخة خطية فى حلب لدى ورثة خدور الحكيم. (سباط: الفهرس: الرقم ٣١٨٦).

أبو البركات بن القضاعى

ت ٥٩٨ هـ /١١٩٦م

ويلقب الموفق، وكان من الأطباء المهرة المتميزين فى صناعة الطب، وكان مشكوراً فى علمها، مشهوراً بجودة المعرفة فى عملها. وكان يعانى أيضاً صناعة الكحل والجراح، ويعد من الأفاضل فيهما[١].

وخدم ابن القضاعى بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين فى الديار المصرية وتوفى بالقاهرة فى سنة ٥٩٨ هـ / ١١٩٦ م.

أبو المعالى بن تمام

كان حياً ٥٩٦ هـ

هو أبو المعالى أبو تمام بن هبة الله بن تمام، يهودى، غزير العلم وافر المعرفة، وكان مشهوراً فى الدولة، موصوفاً بالفضل، مشكوراً بالمعالجة. وكان مقيماً بفسطاط مصر، وأسلم جماعة من أولاده[٢].

وخدم ابن تمام بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وحظى فى أيامه.

كما خدم أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب[٣].

ولأبى المعالى بن تمام من الكتب تعاليق ومجربات فى الطب.

---

(١) ابن أبى أصيبعة ١٩٣/٣ - ١٩٤

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٩٤

(٣) هو أبو بكر محمد بن أبى الشكر أيوب بن شاذى بن مروان : الملقب بالملك العادل سيف الدين، أخو السلطان صلاح الدين، ولد بدمشق فى المحرم سنة أربعين، وقيل ثمان وثلاثين وخمسمائة، وتوفى فى سنة ٦١٥ هـ بالقين ونقل إلى دمشق ودفن بالقلعة وكان قد دخل القاهرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هـ

الرئيس موسى بن ميمون

٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م - ٦٠١ هـ / ١٢٠٤م

هو الرئيس أبو عمار بن موسى بن ميمون القرطبى، وهو يهودى معروف لدى الغرب باسم Maimonides، ولد فى قرطبة سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥م، وكان أبوه ميمون بن يوسف رياضياً وفلكيًا بالإضافة إلى علمه بالتلمود.

ويقول ابن القفطى عنه[1] إنه كان من أهل الأندلس، يهودى النحلة، قرأ علم الأوائل بالأندلس، أحكم الرياضيات، وأخذ شيئاً من المنطقيات وقرأ الطب هناك فأجاده علماً، ولم يكن له جسارة على العمل. ولما نادى عبد المؤمن بن على الكومى البربرى[2] المستولى على المغرب فى البلاد التى ملكها بإخراج اليهود والنصارى منها، وقدر لهم مدة وشرط لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه. له ما للمسلمين وعليه ماعليهم. ومن بقى على رأى أهل ملته فإما أن يخرج قبل الأجل الذى أجله، وإما أن يكون بعد الأجل فى حكم السلطان مستهلك النفس والمال. ولما استقر هذا الأمر خرج المخفون وبقى من ثقل ظهره وشح بأهله وماله فأظهر الإسلام وأسر الكفر، فكان موسى بن ميمون ممن فعل ذلك ببلده، وأقام، ولما أظهر شعار الإسلام التزم بجزئياته من القراءة والصلاة ففعل ذلك إلى أن مكنته الفرصة من الرحلة بعد ضم أطرافه فى مدة احتملت ذلك. وخرج من الأندلس إلى مصر، ومعه أهله ونزل مدينة الفسطاط بين يهودها فأظهر دينه وسكن محلة تعرف بالصيصة وارتزق بالتجارة فى الجوهر وما يجرى مجراه، وقرأ عليه الناس علوم الأوائل وذلك فى أواخر أيام الدولة المصرية العلوية.

ويقول الدوميلى[3] أن ابن ميمون غادر مهبط رأسه سنة ٨/ ١١٤٩ م. وقد ظلت أسرة ميمون مقيمة برغم ذلك فى أمكنة مختلفة من الأندلس بضع سنين بعد ذلك وقبل أن تستقر فى فاس (حوالى سنة ١١٥٨م) بَيْد أنها هنا أيضا على إثر اضطهاد آخر لليهود فى مراكش، لم تستطع أن تمكث طويلاً، فهاجرت فى إبريل سنة ١١٦٥ م، وبعد إقامة قصيرة فى فلسطين استقرت فى مصر (بالفسطاط) فى نهاية السنة المذكورة.

ويلاحظ أن ابن أبى أصيبعة لم يوضح هذه الأحداث بالتفصيل، واكتفى بقوله: وقيل إن الرئيس موسى كان قد أسلم فى المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه. ثم إنه لما توجه إلى الديار المصرية وأقام بفسطاط مصر ارتد.

---

(١) ابن القفطى ٢٠٩

(٢) هو أبو محمد عبد المؤمن بن على القيسى الكومى المتوفى فى جمادى الآخر سنة٥٥٨ هـ وملك المغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفريقية وكثيراً من بلاد الأندلس، وفيات الأعيان ٢٣٧/٣ - ٢٤١.

(٣) الدوميلى ص ٣٧٥

كمـا أنـه أثنى عليه بقوله « وهو أوحد زمانه فى صناعة الطـب، وفى أعمالها، متفنن فى العلوم، وله معرفة جيدة فى الفلسفة».

وكان السـلطان الملك صلاح الدين يرى له ويسـتطبه، وكذلك ولده الملك الأفضل على[1]. وبذلك كان ابن ميمون الطبيب الخاص لصلاح الدين الأيوبى والطبيب الأكبر فى بلاط ابنه.

ويحكى ابن القفطى[2] أن ابن ميمون تزوج بمصر أختاً لرجل كاتب من اليهود يعرف بأبى المعالى كاتب أم نور الدين على المدعو بالأفضل بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأولدها ولداً هو اليوم (أى قبل ٦٤٦ هـ تاريخ وفاة ابن القفطى) طبيب بعد أبيه بمصر، وتزوج أبو المعالى أخت موسـى وأولدها أولاداً منهم أبو الرضى طبيب ساكن عاقل يخدم آل قليج أرسلان ببلاد الروم.

ويضيف ابن القفطى فيقول: « ومات موسـى بن ميمون بمصر فى حدود سـنة خمسـين وستمائة (لعله تصحيـف أو خطـأ، فابـن ميمون مات يوم ١٣ من ديسـمبر ١٢٠٤ م المقابلة لسـنة ٦٠١ هـ). وتقدم إلى مخلفيه أن يحملوه إذا انقطعت رائحته إلى بحيرة طبرية ويدفنوه هناك طلباً لما فيها من قبور بنى إسرائيل، ومقدميهم فى الشـريعة، ففعل به ذلك. وابتلى فى آخر زمانه برجل من الأندلس فقيه عرف بأبى العرب بن معيشـة وصل إلى مصر واجتمع به، وحاققه على إسلامه بالأندلس، وشنع عليه وأدام آذاه، فمنعه عنه عبد الرحيم بن على الفاضل وقال له : رجل مكره لايصح إسلامه شرعاً».

وموسى بن ميمون مشهور فى مجالات عديدة، فقد كان مشتغلاً بالفلسفة والطب، وعلم الفلك، والمسائل الدينية. ويقول عنه تاتون[3]: وكان هذا الفيلسـوف الكبير، واللاهوتى، طبيباً للسلطان صلاح الدين، وكان من أشـهر القائلين بعلاقة الجسـم والنفس، أو ما يسـمى اليوم بالطب النفسـانى الجسدى. كتب موسى ابن ميمون ودائماً بطلب الملك – حوالى عشرة كتب تتناول موضوع حفظ الصحة، والبواسير، والحياة الزوجية الجنسـية والسموم والبلاسم والربو وأسباب الأمراض والأقوال المأثورة عن أبوقراط. والشروحات الستة عشر لكتب جالينوس، وكتب أخيراً حكمه الخاصة المسـماه بيركى موشى Prike Moshé وكل هذه الكتب يجـب أن تضاف إليها كتاب المصطلحات أو المادة الطبية، وقـد كتبت كلها بالعربية، ثم ترجمت تقريباً بكاملها إلى العبرية واللاتينية والفرنسـية والألمانية والإنجليزية. ونجد عند ابن ميمون تأثير التلمود وتأثير المؤلفـين اليونـان وتأثير الرازى، وكان يؤمن مثل هذا الأخير بالطبيعة التى تشـفى. وقد أعطى مكاناً مهماً جداً للوقاية الصحية ليس فقط فى المعالجة الوقائية بل بالمعالجة الاستطبائية، وكان جراحو القرون الوسطى الكبـار أمثال جـاى شـوليك Gay de Chawliac وارنود فيلنـوف Arnoud Vileneuve وهنرى موندفيل Henri de Mondeville يستشهدون له كثيراً فى كتبهم تحت اسم رابى ميمون. وجدير بالذكر

(١) هو أبو الحسـن على، الملقب الملك الأفضل نور الدين ابن السـلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولد بالقاهرة سنة ٥٦٥ هـ وقيل ٥٦٦ هـ ووالده يومئذ وزير المصريين. وتوفى بحلب فى صفر سنة٦٢٢ هـ، وفيات الأعيان ٣/ ٤١٩ – ٤٢١.

(٢) أبن القفطى ص ٢١٠

(٣) تاتون، العلوم العام ص ٥٧٤

أن كتب ابن ميمون اللاهوتية تضمنت معلومات فلكية مفيدة وكان موسى بن ميمون قد عرف كيف يحدد بدقة موقع الشمس ومنازل القمر، وهى معلومات مهمة لحاجات الطقوس الدينية عند اليهود.

ويقول الدوميلى[1]: ليس ابن ميمون الطبيب أقل منزلة من ابن ميمون الفيلسوف أو المتكلم. وهناك دراسة جيدة لماكس مايرهوف فى مجلة اركيون حـ ١١ سنة ١٩٢٩ ص ١٢٦ عنوانها :

L'Oeuvre Médical de Maimonide

وعمدة الكتب الطبية لموسى بن ميمون عشرة كتب، كتبت كلها باللغة العربية، ولكنها ترجمت سريعاً إلى العبرية من قبل علماء معاصرين للمؤلف.

١- وأشهر هذه الكتب كتاب الفصول فى الطب، المعروف فى العبرية بعنوان : «برقت موشيه» (بيركى موشى Prike Moshé)، وهو عبارة عن ١٥٠٠ حكمة استمدها ابن ميمون من جالينوس بوجه خاص، وأضاف إليها ٤٢ تعليقاً من عنده. ولم ينشر النص العربى لهذا الكتاب، وعملت له ترجمتان إلى العبرية فى أثناء القرن الثالث عشر، كلتاهما فى روما، وإحداهما لأسبانى اسمه زرحيا بن اسحاق بن شلتيل حن والأخرى لناثان هامئتى، ولم تطبع الأولى بعد. وطبعت الثانية طبعاً جد ردىء (فى : Lovow سنة ١٨٣٥، لا سنة ١٨٠٤ ولا سنة ١٨٠٥ كما هو مطبوع على نفس الكتاب)، ثم فى سنة ١٨٨٨ فى Vilno – وعلى عكس ذلك نشرت الترجمات اللاتينية التى كتبت فى القرن الثالث عشر مراراً كثيرة فى أوائل عهد الطباعة ولكنها غالباً مصحوبة بإضافات أو تحريفات. والطبعة الأساسية هى طبعة بولونيا سنة ١٤٨٩م. وهذا الكتاب لابن ميمون ليس فى حقيقته إلا شرحاً أو تفسيراً.

٢- كتاب المختصر لكتب جالينوس. هو فى الحقيقة خلاصة لكثير من كتب طبيب برجامون (جالينوس)، ويقول عنه ابن أبى أصيبعة اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس. ويذكر السامرائى[2] أن تلميذه يوسف بن عقنين قد شاركه فى إعداده.

٣- شرح على حكم أبقراط، على أساس النص الذى ترجمه حنين بن اسحق وهذا الكتاب الأخير لم يطبع بعد، وكذلك ترجمته العبرية لموسى بن طبون[3]، ويوجد فقط النص العربى للمقدمة مطبوعاً بحروف عبرية ومرفقاً بترجمة ألمانية فى بحث شتينشنيدر، المنشور فى مجلة الجمعية الألمانية حـ ٤٨ سنة ١٨٩٤ ص ٢١٨ :

M. Steinschneider. Die Vorrede des Mainonides zu seinem Commentar über die Aphorismen des Hippokrates u. s. w.

---

(١) الدوميلى ص ٣٧٩

(٢) السامرائى، ٢ /٩٥

(٣) موسى بن صمويل بن جوده بن طبون، وكان والده أشهر من ترجم لموسى بن ميمون، كما تخصص موسى فى ترجمة المؤلفات الطبية لابن ميمون.

٤- مقالة فى البواسير، نشر كرونر نصها العربى بحروف عبرية مع ترجمة ألمانية

H. Kroner, Die Haemorrphoiden in der Medizin des Xll and Xlll Jahrhunderts etc. Janus XVl 1911.

وفى دار الكتب المصرية مخطوطة منها باسم : رسالة فى أدوية البواسير.

٥- مقالة فى الجماع، صنفها لسلطان حماه الأيوبى: الملك المظفر تقى الدين أبى سعيد عمر بن نور الدين (٥٧٥ - ٥٨٨ هـ / ١١٧٩ - ١١٩٢ م)، ويوجد نصان لهذا الكتاب، أحدهما نص مطول ترجمه إلى العربية زرحيا حن ونشره كرونر فى دراسته لتاريخ الطب فى القرن الثانى عشر.

H. Kroner , Ein Beitrag zur Geschichte der Medizin des Xll. Jahrhunderts, Oberndarf- Bopfingen. 1906.

وهو فى النص العربى، مع ترجمة عبرية وترجمة ألمانية، والنص الآخر للأول، ونشره كرونر أيضاً بالنص العربى مع ترجمة ألمانية فى:

Eine medizinische Maimonides-Handschrift aus Granada, Janus XVl, 1911.

والمقالة بتسعة فصول، بحث فيها حالات المضاجعة، ومايفيد الباه من الأدوية والأغذية، وما يضر به ويضعفه، وكان من مصادر المقالة قانون ابن سينا وكتاب التيسير لابن زهر.

٦- مقالة فى الربو، ولها ترجمة لاتينية مبكرة بقلم Armengaud fils والترجمتان العبريتان القديمتان جداً. أحدهما بقلم صموئيل بنفنسته Samuel b. Benveniste، ويبدو أنها كتبت على أساس نص لاتينى، والثانية. وهى أحدث من الأولى، وكتبت فى نهاية القرن الرابع عشر بقلم يوشوا ساتيبى Yosua Satibi، على أساس نص عربى أصلى. بين أنه وضعها لأحد نبلاء الإسكندرية الذى كان يشكو من هذا المرض، ونصحه ابن ميمون بتغيير مكانه والسكن فى القاهرة لأن جوها أفضل له، وأشار فى هذه المقالة إلى الأطباء أن يعنوا بمرض الربو عناية خاصة، وذكر لهم طريقة علاجه.

٧- كتاب السموم والتحرز من الأدوية القاتلة، ويعرف بعنوان الرسالة الفاضلية، لأنها ألفت (سنة ١١٩٩م) بناء على طلب صديق ابن ميمون العجوز : الوزير القاضى عبد الرحيم بن على البيسانى المشهور بالقاضى الفاضل. ووجهت إليه، وتوجد من هذه الرسالة ترجمتان عبريتان كتبهما موسى بن طبون وزرحيا حن، وترجمة لاتينية لأرمنجود بعنوان :De Venenis par Armengaud.

وكتبت ترجمتان حديثتان على أساس الترجمة العبرية، الأولى بالفرنسية :

L. M. Rabbinowicz, Traité des poisons de Maimonides Paris 1865. (nouvelle reproduction photomecanique – Paris 1935).

والثانية بالألمانية :

M. Steinschneider –Gifte und ihre Heilung von Moses Maimonides– Vorchows Archiv , LVll , 1873.

٨- مقالة فى تدبير الصحة، ألفت بأمر السلطان الكامل، وهذا الكتاب من أشهر كتب المؤلف، وهو مقسم إلى أربعة أقسام، وترجمه إلى العبرية موسى بن طبون سنة ١٢٩٠م، كما ترجمه أرمنجود إلى اللاتينية سنة ١٢٩٠ م أيضا. ونشر النص العربى مصحوباً بالترجمة إلى الألمانية مع الشرح، بنشر كرونر فى مجلة « يانوس» حـ ٢٧، ٢٨، ٢٩ للسنوات ١٩٢٤ -١٩٢٦م.

وذلك اعتماداً على مخطوطة وجدت بمكتبة بورليانا بأكسفورد، وفى دار الكتب المصرية مخطوطة أخرى بالنص العربى.

وأقسام الكتاب الأربعة تضم : الفصل الأول فى تدبير الصحة، والثانى فى تدبير المرضى حيث لايوجد طبيب، والفصل الثالث فى تدبير صحة الملك بحسب أعراض مرضه وكان يومئذ قد أصيب بالتخمة ويبس الطبيعة وقبح السيرة بسبب إفراطه فى اللهو والشراب. والفصل الرابع فى وصايا للأصحاء والأمراض النفسية وأسلوب تداويها.

٩- مقالة فى بيان الأعراض، وهو آخر كتب بن ميمون، وكتبه للسلطان الأفضل الأيوبى، وتوجد له ترجمة لاتينية مجهول كاتبها من العصور الوسطى. ونشر كرونر النص العربى مع ترجمة ألمانية وشرح فى مجلة يانوس حـ ٣٢ سنة ١٩٢٨ ص ١٢.

١٠- شرح أسماء العقار. وهو مكتوب بقلم ابن البيطار المشهور نفسه، وهذا الكتاب يذكر أسماء العقاقير المختلفة وأوصافها فى فصول قصيرة تبلغ ٤٠٦ فصلاً ومنه نسخة خطية فى مكتبة الفاتح باستامبول الرقم ٣٦١٠، وأيا صوفيا، الرقم ٣٧١١، وقد حققه ماكس مايرهوف، ونشره مع ترجمته إلى الفرنسية فى القاهرة[1]، وأعادت مكتبة المثنى ببغداد طبع النص العربى وحده بالأوفست من طبعة مايرهوف.

ويذكر ابن ميمون فى أول المقالة مصادره عن ابن جلجل الأندلسى، وأحمد بن محمد الغافقى، وأبى المطرف بن وافد اللخمى، وابن سمحون، ومروان بن جناح. وكل هولاء من علماء الأدوية فى الأندلس بالقرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى.

ويذكر الدوميلى[2] أن كتباً طبية صغيرة أخرى تنسب إلى ابن ميمون ولكن نسبتها مشكوك فيها. ومن ذلك كتاب الطب القديم، الذى وجدت مخطوطته فى أحد أديرة القبط فى مصر.

وقد عنى ابن ميمون بمسائل علم الفلك، فشرح كتاباً لفلكيين مختلفين، أو عالج عرضا بعض هذه المسائل فى بعض كتبه، ونذكر الرسالة التىكتبها سنة ١١٩٤م إلى أحبار مارسيليه، لأنه لخص فيها التنجيم بصراحة، وقد بحث هذا الموضوع الكسندر ماركس فى دراسته سنة ١٩٢٦ المعنونة :

Alexander Marx 1926. The Correspondence between the Rabbis of Southern France and Maimonides about astrology, Hebrew Univ. College Annual III.

وتشتمل الدراسة أيضاً على النص العربى للرسالة، وكذلك على نص الرسالة التى كتبها له الأحبار.

---

(١) مطبعة المعهد العلمى الفرنسى القاهرة ١٩٤٠، ٦٩ + ٧٦+ ٢٥٨ ص

(٢) الدوميلى ص ٣٨١

أما عن الكتب الفلسفية لابن ميمون، فإن أشهرها وأهمها كتاب دلالة الحائرين الذى يسميه المعارضون لـه: ضلالـة الحائريـن. وفى هـذا الكتاب يحاول ابـن ميمون ان يوفـق بين علم الـكلام اليهودى وبين الأرسطاطاليسـية الإسـلامية. وهـو يذهب بوجه خاص إلى أن اكتسـاب العلم من أسمى أنواع التدين. وقد ترجـم صمويل بـن طبون هذا الكتـاب إلى العبرية حوالى ١٢٠٤م. واسـتطاع أن ينتفع فـى هذه الترجمة بإرشادات المؤلف نفسه.

وفى القرن الثالث عشـر، كتب الخريزى ترجمة عبرية، ويبدو أنه اسـتخدم فى ترجمته نصاً لاتينياً، وصحح هذه الترجمة الأخيرة، Agostina Giustinian ونشرت فى باريس سنة ١٥٢٠م. وتوجد زيادة على ذلك ترجمات عبرية عديدة، وهناك طبعة بحروف عبرية مع ترجمة فرنسية بقلم مونك :

Salomon Munk, Guide des égarés, 3 Vol., Paris 1865– 1866 .

كما ظهرت ترجمة ألمانية بقلم فايس :

Adolf Weiss. Führer des Unichlüssigen 3 Bd. Leipzig 1923 –24.

كما نشر الشيخ زاهد الكوثرى مقدمات هذا الكتاب الضخم وهى ٢٥ مقدمة، فى القاهرة سنة ١٩٥٠م.

ومـن كتب ابـن ميمون الدينية والتشـريعية، ينبغى أن نذكر بوجه خاص كتاب: السـراج، وكتاب: «مشناتوراه»، وهى ترتيب، وتقنين كامل لجميع الشرائع الموسوية والربانية.

ولقد عاش بن ميمون محترماً بين ملته اليهود، فقد عاصر الوزير حسـداى بن شـبروط، والعالم الطبيب مروان بن جناح وغيرهما ممن عاشوا فى ذلك المحيط العلمى الزاهر فى قرطبة. وعندما انتقل إلى مصر لقى كل الرعاية من صلاح الدين الأيوبى وصار طبيبه وجليسـه، كما صار رئيس الطائفة اليهودية فى القاهرة، وحبرها فى الشريعة الموسوية.

ولقد كان لابن ميمون دعاء جميل العبارة رفيع المعانى، فيه تمسك بالسلوك المهنى، كما كان فيه تضرع إلى الله للأخذ بيده فى خدمة الصنعة والمرضى. وفى مضمون هذا الدعاء أيضا كثير مما ورد فى قسم أبقراط عن الإخلاص للمهنة وللمرضى، من المناسب ذكره هنا، قال فيه:

« ربى املأ نفسـى حباً عميقاً لفن الطب، ولجميع الناس، ولاتسـمح بأن يكون التعطش للربح والمجد الباطل فنى، فإن أعداء الحق والظالمين يستطيعون بسهولة أن يقصونى عن إنجاز واجبى الشريف فى صنع الخير، والإصلاح نحو عبادك.

ربى اسند قلبى ليكون أهلاً لخدمة الفقير والغنى على السواء، وخدمة الصديق والعدو، والصالح والشرير على السواء.

ربـى دعنى ألا أرى فى المريض إلا آلامه وإزعاجه. ولتبق نفسـى صافية نقية قرب سـريره، وابعد عنى سـيىء الأفـكار وخبيثها عنـد معالجته لأبـذل خالص علمى وفنى.

ربـى هب المرضـى الثقة بى وبفنـى، واجعلهم يتبعـون أوامرى ووصايـاى، وابعد عن سـريرهم المشـعوذين والدجالين، وابعد عنهم أقاربهم الذيـن يبذلون لهم النصائح

السقيمة والخطرة، وإذا رمانى الجهلاء بسهام انتقاداتهم الطائشة فاجعل ياربى تعلقى بفن الطب ترساً يقينى هجماتهم الجارحة لأبقى أميناً على خدمة ومحافظة شرفى وشرف الطب ضدهم.

ربى هبنى الأناة والصبر، وطيب النفس، وسعة الصدر عند سرير المرضى الجهلاء والعنودين، وامنحنى القناعة فى كل شىء إلا القناعة فى حب الطب وتقدمه، وابعد عنى فكرة التفاخر والتباهى بقدرتى على إنجاز كل شىء، والنجاح فى كل أمر، وهبنى القوة والإرادة، واجعل منى أهلاً لتوسيع معارفى الفنية لأتمكن بها من اكتشاف الأمور الهامة فى خدمة الطب، والتى لم أستطع اكتشافها فى الماضى، أو لم تخطر على بالى قبل هذا».

وقد توفى ابن ميمون بالفسطاط سنة ٦٠١ هـ/١٢٠٤ م، ثم نقل جسمانه حسب وصيته ودفن فى طبرية بفلسطين. وعقب له ولد واحد هو أبو المنى إبراهيم بن موسى، وكان طبيباً أيضاً إلا إنه لم يلحق بأبيه علماً وشهرة.

ابن أبى حفص

٥٥١ـ ٦٠٦ هـ/ ١١٥٦ـ ١٢٠٩م

أبو الطاهر إسماعيل بن نعمة بن يوسف بن شبيب الرومى المصرى العطار البارع الأديب بن أبى حفص. كان بارعاً فى الأدب، حنبلى المذهب كما كان بارعاً فى العقاقير. توفى فى عشرين المحرم سنة ٦٠٦ هـ، ودفن بسفح المقطم[1].

أبو سعيد بن أبى سليمان

ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م

هو الحكيم مهذب الدين أبو سعيد بن أبى سليمان بن أبى المنى بن أبى فانه. هو أكبر أخوته أبناء أبى سليمان، وقرأ علم الطب على أبيه وعلى غيره من شيوخ الطب، والتحق بحاشية صلاح الدين حين دخل القدس، وصحبه إلى مصر وصار من أطبائه المقربين إليه، ويتنقل بين دمشق والقاهرة تبعاً لوجود صلاح الدين فى المدينتين، ثم استقر بعد وفاة صلاح الدين فى ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م فى القاهرة بخدمة الملك العادل بن أيوب، الذى جعله فى خدمة ولده الملك المعظم.

وتوفى أبو سعيد بالقاهرة سنة ٦١٣ هـ/ ١٢١٦ م[2].

(١) أحمد عيسى – معجم الأطباء ١٤٦، شذرات الذهب لابن العماد ٢٢/٣

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣/ ٢٠٣

أبو شاكر بن أبى سليمان

ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م

هو الحكيم موفق الدين أبو شاكر بن أبى سليمان داود، قرأ الطب على أخيه مهذب الدين أبى سعيد، وخلفه فى خدمة الملك العادل الأيوبى.

وخدم الملك الكامل، ونال فى دولته حظاً عظيماً. وصار له مركز مرموق فى بلاطه، وتوفى بالقاهرة سنة ٦١٣ هـ /١٢١٦م، ودفن بدير الخندق عند القاهرة[١].

القطب المصرى

ت ٦١٨هـ / ١٢٢١ م

هو إبراهيم بن على بن محمد السلمى المغربى الحكيم المعروف بالقطب المصرى صنف كتباً فى الطب والفلسفة وشرح الكليات بكمالها من كتاب القانون[٢] وكان أصله مغربياً وإنما انتقل إلى مصر وأقام بها مدة، ثم سافر بعد ذلك إلى بلاد العجم. وقد قتل بمدينة نيسابور، وذلك عندما استولى التتار على بلاد العجم وقتلوا أهلها، وللقطب المصرى من الكتب : شرح الكليات من كتاب القانون للشيخ الرئيس ابن سينا[٣].

يوسف الإسرائيلى

كنيته أبو الحجاج. مغربى الأصل من فاس، هجر موطنه واستوطن مصر، واشتغل فيها على موسى بن ميمون القرطبى. وسافر إلى الشام وأقام بحلب بمعية الملك غازى بن صلاح الدين الأيوبى المتوفى ٦١٣ هـ/ ١٢١٦ م. وكان عالماً بالحساب والنجوم بالإضافة إلى الطب. وله رسالة الأدوية اللطيفة والكثيفة وتناولها[٤].

* * *

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ٢٠٣ – ٢٠٤

(٢) أحمد عيسى – معجم الأطباء ٥٨

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣ / ٤٦

(٤) السامرائى، ٢/ ٥٥٨

٠ إبراهيم بن الرئيس موسى

ت ؟ ٦٣٤ هـ/ ؟ ١٢٣٤م

هو أبو المنى إبراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون، منشؤه بفسطاط مصر، وكان طبيباً مشهوراً عالماً بصناعة الطب، جيداً فى أعمالها. وكان فى خدمة الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب. ويتردد أيضاً إلى البيمارستان الذى بالقاهرة من القصر، ويعالج المرضى فيه[1].

أسعد الدين بن أبى الحسن

٥٧٠ ـ ٦٣٥ هـ/ ١١٧٤ـ ١٢٣٧ م

هو أسعد الدين بن عبد العزيز بن أبى الحسن على من أفاضل العلماء، وأعيان الفضلاء. واشتغل بصناعة الطب على أبى زكريا يحى البياسى فى ديار مصر. وخدم الملك المسعود أقسيس بن الملك الكامل، وأقام معه باليمن مدة. وكان أبوه طبيباً بديار مصر.

ولأسعد الدين من الكتب : كتاب نوادر الأدباء فى امتحان الأطباء، صنفه للملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب[2].

جمال الدين بن أبى الحوافر

ت بعد ٦٣٥ هـ

هو الشيخ الإمام العالم أبو عمرو عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسى، ويعرف بابن أبى الحوافر، يقول عنه ابن أبى أصيبعة : أفضل الأطباء وسيد العلماء وأوحد العصر وفريد الدهر، قد أتقن الصناعة الطبية، وتميز فى أقسامها العلمية وله اشتغال جيد بعلم الأدب وعناية فيه، وله شعر كثير صحيح المبانى بديع المعانى، وكان رحمه الله كثير المروءة غزير العربية معروفاً بالأفضال، موصوفاً بحسن الخلال. قد غمر بإحسانه الخاص والعام، وشملهم بكثرة الإنعام.

ولد ونشأ بدمشق، واشتغل بصناعة الطب على الإمام مهذب الدين بن النقاش[3] وعلى الشيخ رضى الدين الرحبى (ولد فى شهر جمادى الأول سنة ٥٣٤ هـ، وتوفى بكرة يوم الأحد العاشر من المحرم

(١) ابن أبى أصيبعة ١٩٥/٣

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣/ ٢١٩ – ٢٢٠

(٣) الشيخ الأمام العالم أبو الحسن على بن أبى عبد الله عيسى ابن هبة الله النقاش مولده ومنشؤه ببغداد، توفى بدمشق يوم السبت ثانى عشر محرم سنة ٥٧٤ هـ ودفن بها فى جبل قاسيون، ابن أبى أصيبعة ٣/ ٢٦٧

سـنة ٦٣١ هـ بدمشـق)، وخدم بصناعة الطب الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين[1] وأقام معه فى الديار المصرية، وولاه رياسة الطب. ولم يزل فى خدمته، وهو كثير الإحسان إليه والإنعام عليه، إلى أن توفـى الملـك العزيز. وبقى ابن أبى الحوافر مقيماً بالديار المصرية وقطن بها، ثم خدم بعد ذلك الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب[2]، وبقى معه سنتين، وتوفى بن أبى الحوافر بالقاهرة.

ويحكـى عنه ابن أبـى أصيبعة يقول : وحدثنى بعض أصدقائه قـال: كان يوماً راكباً فرأى فى بعض النواحى على مسـطبة بياع حمص مسـلوق، وهـو قاعد وقدامه كحال يهودى، وهـو واقف وبيده المكحلة والميل، وهو يكحل ذلك البياع فحين رآه على تلك الحال سـاق بغلته نحوه وضربه بالمقرعة على رأسـه، وشتمه، وعندما مشى معه قال له إذا كنت أنت سفلة فى نفسك، أما للصناعة حرمة؟ كنت قعدت إلى جانبه وكحلته، ولا تبق واقفا بين يدى عامى بياع حمص، فتاب أن يعود يفعل مثل ذلك الفعل وانصرف.

وقد تتلمذ على يدى ابن أبى الحوافر جماعة تميزوا فى صناعة الطب، وكان منهم بل من أجل تلامذته وأعلمهم الحكيم رشيد الدين على بن خليفة[3].

ولابن أبى الحوافر كتاب مختصر فى الطب، يقول السامرائى[4] أنه فى المتحف العراقى.

القاضى نفيس الدين ابن الزبير

ولد سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م
توفى سنة ٦٣٦ هـ /١٢٣٧م

هـو القاضى الحكيم نفيس الدين أبو القاسـم هبة الله بن صدقة بن عبـد الله الكولمى، والكولم من بلاد الهند. وهو ينسـب من جهة أمه إلى ابن الزبير الشـاعر المشـهور الذى كان بالديار المصرية، وهو القائل (الكامل):

يارِيح أين تـرى الأحبـة يممـوا ... هـل أنجـدوا من بعـدنا أو أتهمـوا

(١) الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان بن السـلطان صلاح الدين يوسـف بن أيوب، ولد بالقاهرة فى ثامن جمادى الأولى سـنة٥٦٧ هـ، وتوفى ليلة الأربعاء الحادى والعشـرين من المحرم سـنة ٥٩٥ هـ ودفن بالقراقة الصغرى فى قبة الأمام الشافعى رضى الله عنه، وفيات الأعيان ٣ : ٢٥١– ٢٥٣

(٢) أبـو المعـالى محمد بن أبى بكر الملقب الملك الكامل ناصر الدين صاحب الديار المصرية، توفى بدمشـق سـنة ٦٣٥هـ وفيات الأعيان، ٨٩/٥ –٩٢

(٣) أبو الحسـن على بن خليفة بن يونس بن أبى القاسم بن خليفة، من الخزرج من ولد سعد بن عباده، ولد بحلب سنة ٥٧٩ هـ، ولقد اشتغل بالقاهرة وقرأ على ابن أبى الحوافر شيئا من كتب جالينوس الستة عشر وحفظ منها الكتب الأولى فى أسـرع وقت، واجتمع فى القاهرة بالأطباء الذين عملوا فى البيمارسـتان (فى السـقطين أسفل القاهرة) ومنهم القاضى نفيس الدين الزبير و الشيخ موفق الدين البغدادى، ابن أبى أصيبعة ٤٠٢/٣ –٤٣٣

(٤) السامرائى، جـ ٢ / ٥٠٢

وقد ولد القاضى نفيس الدين فى سنة خمس أوست وخمسين وخمسمائة وقرأ صناعة الطب على ابن شوعة أولاً، وقرأ بعد ذلك على الشيخ السديد رئيس الطب، وتميز فى صناعة الطب وحاول أعمالها، وأتقن أيضاً صناعة الكحل، وعلم الجراح.

وكثرت شهرة القاضى نفيس الدين بصناعة الكحل، وولاه الملك الكامل[1] ابن الملك العادل رياسة الطب بالديار المصرية، ويكحل فى البيمارستان الناصرى الذى كان من جملة القصر للخلفاء المصريين. وكان من جملة الأطباء الذين عملوا معه فى البيمارستان إبراهيم بن الرئيس ميمون الذى كان هو الآخر فى خدمة الملك الكامل.

وتوفى القاضى نفيس الدين ابن الزبير بالقاهرة فى سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨ م. وترك أولاداً مشهورين بصناعة الكحل.

الصاحب أمير الدولة

ت ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م

هو أبو الحسن على بن غزال بن أبى سعيد الوزير الكبير الصاحب أمير الدولة كمال الدين السامرى ثم المسلمانى. كان لا سامريا ولا مسلما، بل كان متنصرا بالإسلام، وقد سجن بقلعة مصر مدة سنتين[2].

ويقول السامرائى[3] إن أمير الدولة أقتيد من قبل منافسيه إلى مصر وهناك قتل فى أيام عز الدين أيبك (ت ٦٥٢ هـ) ولأمير الدولة كتاب النهج الواضح فى الطب، وهو بخمسة كتب (أجزاء) :

الكتاب الأول: ويبحث فى الأمور الطبيعية وحالات الأبدان وأجناس الأمراض، وعلائم الأمزجة المختلفة والمعتدلة للأعضاء الرئيسية ومايقرب منها، ثم فى النبض والبول والبراز والبحران.

الكتاب الثانى: ويبحث فى الأدوية المفردة وقواعدها.

الكتاب الثالث: فى الأدوية المركبة وفوائدها.

الكتاب الرابع: فى تدبير الأصحاء. وعلاج الأمراض الظاهرة وأسبابها وعلائمها ومايحتاج إليه من عمل اليد، وفيه أيضاً عن تدبير الزينة وتدبير السموم.

الكتاب الخامس: فى الأمراض الباطنة وأسبابها وعلائمها وعلاجها ومايحتاج إليه من عمل اليد.

---

(١) أبو المعالى محمد بن أبى بكر الملقب الملك ناصر الدين صاحب الديار المصرية، توفى بدمشق سنة ٦٣٥هـ، وفيات الأعيان ٥/٨٩ -٩٢

(٢) أحمد عيسى، معجم الأطباء ٣١٢

(٣) السامرائى، تاريخ الطب ٢ / ٥١٨

الشيخ السديد بن أبى البيان

ولد ٥٥٦هـ / ١١٦٠ م

توفى بحدود ٦٤٣ هـ/١٢٤٠م

سديد الدين أبو الفضل داود بن أبى البيان سليمان بن أبى الفرج إسرائيل بن أبى الطيب سليمان ابن مبارك، إسرائيلى قراء، مولده بالقاهرة سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠م. وكان شيخاً محققاً للصناعة الطبية متقناً لها، متميزاً فى علمها وعملها، خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة.

وقد عمل بن أبى البيان فى البيمارستان الناصرى بالقاهرة[1] وقد عمل معه من الأطباء إبراهيم بن الرئيس ميمون وابن أبى أصيبعة[2] والقاضى نفيس الدين بن الزبير.

ويحكى ابن أبى أصيبعة[3] فيقول: « ولقد شاهدت منه حيث يعالج المرضى بالبيمارستان الناصرى بالقاهرة من حسن تأنيه لمعرفة الأمراض، وتحقيقها وذكر مداواتها والاطلاع على ماذكره جالينوس فيما يعجز عنه الوصف. وكان أقدر أهل زمانه من الأطباء على تركيب الأدوية ومعرفة مقاديرها وأوزانها على ماينبغى، حتى أنه كان فى أوقات يأتى إليه من المستوصفين من به أمراض مختلفة أو قليلة الحدوث، فكان يحكى صفات أدوية مركبة بحسب ما يحتاج إليه ذلك المريض من الأقراص والسفوفات والأشربة، أو غير ذلك فى الوقت الحاضر، وهى فى نهاية الجودة وحسن التأليف..»

وكان هبة الله بن جميع اليهودى شيخ بن أبى البيان فى الطب، كما قرأ أيضاً على أبى الفضائل ابن الناقد.

وقد خدم الشيخ السديد بن أبى البيان الملك العادل أبا بكر بن أيوب وعاش فوق الثمانين سنة، وتوفى بحدود ٦٤٣ هـ / ١٢٤٠م. وكان قد ضعف بصره فى آخر عمره.

ويعرفه الدوميلى[4] أنه دافيد بن سلومو، ولابن أبى البيان من الكتب :

١- تعاليق على كتاب العلل والأعراض لجالينوس.

---

(١) البيمارستان الناصرى أو الصلاحى أوبيمارستان صلاح الدين، ويعرف بالبيمارستان العتيق، وقد كان فى أحد قاعات قصر الفاطميين قاعة بناها العزيز بالله فى سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤م، فلما ملك صلاح الدين الأيوبى الديار المصرية جعلها بيمارستانا داخل القصر سنة ١١٨١ م

(٢) موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى المعروف بأبن أبى أصيبعة المشهور بكتابه عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ولد فى دمشق، وتوفى سنة ٦٨٨ هـ /١٢٦٩ م وقد جاوز السبعين

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣ /١٩٦

(٤) الدوميلى ص ٥٦٦

٢- الدستور البيمارستانى، ويقول عنه ابن أبى أصيبعة[١] كتاب الآقربازين، وأنه اثنا عشر بابا قد أجاد ابن أبى البيان فى جمعه، وبالغ فى تأليفه واقتصر على الأدوية المركبة المستعملة المتداولة فى البيمارستانات بمصر والشام والعراق وحوانيت الصيدلة.

ويضيف ابن أبى أصيبعة قوله : وقرأته عليه وجمعته معه.

ويقول عنه بولس سباط[٢] أنه جمعه مما اتضح نفعه بالاستعمال فى البيمارستان الناصرى بالقاهرة، وغيره من دور التداوى فى مصر والشام والعراق وحوانيت الصيادلة. وبالغ فى شرح فوائد تلك الأدوية والحرص على ضبط أقدارها وأوزانها، ضنا بها أن تذهب ضياعاً على مرور الزمان. ويضيف قوله: وفى الجملة: إن ابن أبى البيان كان علماً من أعلام صناعته، نبه ذكره وعظم قدره حتى قال بعضهم فيه:

اذا أشكل الداء فى باطن أتى ابن بيان له بالبيان
فإن كنت ترغب فى صحة فخذ لسقامك منه الأمان

وقد نشر القس بولس سباط هذا المؤلف تحت عنوان:

Paul Sbath 19321933-. Le formulaire des hopitaux d`Ibn Abil Bayan , Médicin du Bimaristan Annacery au Caire.

Bull. Inst. d`Egypt XV : 13 - 80.

ونورد فيما يلى مقدمة الدستور البيمارستانى:

وبعد فهذا دستور يشتمل على بيان الأدوية المركبة المستعملة فى أكثر الأمراض المقتصر عليها فى البيمارستان وهى التى أكثر الأطباء استعمالها، فعرف نفعها، واشتهر ذكرها، مما عنى بجمعه داود بن أبى البيان المتطبب، وهو اثنا عشر بابا :

الباب الأول فى المعاجين والأطريفلات[٣]
الباب الثانى فى الجوارشنات[٤]
الباب الثالث فى الحبوب والأيارجات[٥] والمطبوخات
الباب الرابع فى الأقراص والسفوفات
الباب الخامس فى الأشربة والمربيات واللعوقات والربوبات
الباب السادس فى الغراغر والسعوطات

(١) ابن أبى أصيبعة ٣/ ١٩٧
(٢) بولس سباط فى مقدمة للدستور البيمارستانى ص ١٦
(٣) لفظ اطريفل تدل على المعجون المتخذ من الثلاثة الاهليلجات (الكابلى والأملج والبليلج)
(٤) معنى الجوارش فى اللغة الفارسية هاضم الطعام، وأكثر ما يقع هذا الاسم على المعجونات التى تقع فيها الأفاوية والفلافل الثلاثة (فلفل أسود، الكباية الصينى والدار فلفل) والزنجبيل
(٥) خليط من الأدوية المفردة

الباب السابع فى الأكحال والشيافات
الباب الثامن فى الحقن والفتائل والفرزجات
الباب التاسع فى الأطلية والضمادات
الباب العاشر فى الأدهان والنطولات
الباب الحادى عشر فى أدوية الفم والسنونات
الباب الثانى عشر فى المراهم وأدوية البواسير والخراجات

وقد اقتصرت على ذكر ما تعرف بسائطه وتوجد فى أكثر المواضع، فإن ذكر غير ذلك لاينتفع به إلا من أغرق نفسه فى صناعة الطب وكان متبتلا لاستقصاء أعمالها، وهذا المختصر ينفع به أكثر من يقع إليه وقد أرشد لليسير من صناعة الطب، وبالله أعتضد وهو حسبى ونعم المعتمد».

ولا شك أن الدستور البيمارستانى الذى وضعه ابن أبى البيان من المؤلفات التى تجدر دراستها فى ضوء العلوم الحديثة، نظراً لما يحويه من معارف ومعلومات. ويكاد يشابه دساتير الأدوية الحديثة في تبويبه «Batanouny 2007».

فتح الدين بن جمال الدين بن أبى الحوافر

توفى بعد ٦٣٧ هـ وقبل ٦٤٧ هـ

كان مثل أبيه جمال الدين فى العلم والفضل والنباهة، نزيه النفس صائب الحدس أعلم الناس بمعرفة الأمراض وتحقيق الأسباب والأعراض، حسن العلاج والمداواة، لطيف التدبير والمداراة، عالى الهمة، كثير المروءة فصيح اللسان، كثيّر الإحسان، وخدم بصناعة الطب الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب، وبعده الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد[1]. وتوفى فتح الدين فى أيامه بالقاهرة[2].

شهاب الدين بن فتح الدين

هو سيد العلماء ورئيس الأطباء، علامة زمانه وأوحد أقرانه، قد جمع الفضائل وتميز على الأواخر والأوائل، وأتقن الصناعة الطبية علماً وعملاً، وحررها تفصيلاً وجملاً، وهو علامة وقته فى حفظ الصحة ومراعاتها، وإزالة الأمراض وعلاجاتها، قد اقتفى سيرة آبائه وفاق نظراءه فى همته وإبائه[3].

(١) الملك الصالح أبو الفتح أيوب الملقب نجم الدين ابن السلطان الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل بن أيوب. دخل القاهرة يوم الأحد ٢٧ من ذى القعدة سنة٦٣٧ هـ، وتوفى ليلة النصف من شعبان سنة ٦٤٧ هـ بالمنصورة، وفيات الأعيان ٦/٢٥٩ – ٢٦٠

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ /١٩٨

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣/١٩٨ – ١٩٩

وقد أقام فى الديار المصرية، وخدم بصناعة الطب الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الملك الصالح صاحب الديار المصرية والشامية[1].

رشيد الدين أبو سعيد

ت٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م

هـو أبو سـعيد بن موفق الدين يعقـوب من نصارى القدس. أديب ونحـوى ودرس الطب على الدخوار بدمشق، وعلى رشيد الدين على بن خليفة عم أحمد بن أبى أصيبعة. وخدم الملك الكامل، وبقى فى خدمته زمانا مقيما بالقاهرة، ثم خدم بعد ذلك الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل.

ولرشيد الدين أبى سعيد من الكتب :

١- كتاب عيون الطب، صنفه للملك الصالح نجم الدين أيوب وهو أجل كتاب صنف فى صناعة الطب، ويحتوى على علاجات مختارة.

٢- تعاليق على كتاب الحاوى فى الطب لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى.[2]

أبو البركات بن شعيا

ولقبه الموفق، شـيخ مشهور كثير التجارب مشـكور الأعمال فى صناعة الطب، وكان يهودياً قراءً عاش سـتا وثمانين سـنة، وتوفى بالقاهرة، وخلف ولداً يقال له سعيد الدولة أبو الفخر وهو طبيب أيضاً، ومقامه بالقاهرة[3]، ويقول الدوميلى[4] عن سعيد الدولة. إنه طبيب يهودى، لا يعرف إلا لقبه، شغل منصباً كبيراً إذ كان طبيبـاً فـى بـلاط أيل - خان أرجون، ولكنه فى أثناء المرض الأخير لهذا الأمير سـجن وقتل بيد أعدائه سنة ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١م.

أبو نصر بن أبى سليمان

كان طبيباً وهو ثالث أبناء ابى سليمان بن فانه، وقد توفى بالكرك.

(١) السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحى النجمى. وهو أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب، وتولى المملكة سـنة ٦٥٨ هـ. وتوفى بدمشـق يوم الخميس السـابع والعشرين من المحرم من سنة ٦٧٦ هـ، وفيات الأعيان ١٥٥/٤ -١٥٦.

(٢) ابن أبى أصيبعة ٢١٨/٣ - ٢١٩.

(٣) ابن أبى أصيبعة ١٩٥/٣

(٤) الدوميلى ص ٥٦٧

أبو الفضل بن أبى سليمان

٥٦٠ـ ٦٤٤هـ/ ١١٦٥ـ١٢٤٦م

أصغر إخوته أبناء ابى سليمان بن أبى فانه، وكان مولده فى سنة ٥٦٠ هـ/ ١١٦٥ م، وقد عمر كثيراً وتوفى سنة ٦٤٤ هـ/١٢٤٦ م حيث عاش ٨٤ سنة، وكان فى خدمة الملك المعظم الأيوبى (٦١٥ – ٦٢٤ هـ / ١٢١٨–١٢٢٧م) فى دمشق، ثم الملك الكامل الأيوبى فى القاهرة (٦١٥–٦٥٣هـ / ١٢١٨– ١٢٣٨م).

رشيد الدين أبو حليقة

ت بدمشق ٦٤٦ هـ /١٢٤٨ م

هو الحكيم الأجل العالم رشيد الدين أبو الوحش بن الفارس أبى الخير ابن أبى سليمان داود بن أبى المنى بن أبى فانه، وكان أبوه أبا الخير المعروف بالفارس أحد الأبناء الخمس لأبى سليمان بن أبى فانه، وعلى رغم أنه لم يشتغل بالطب كبقية إخوته إلا إن ابنه رشيد الدين أبا حليقة عمل فى هذا المجال، ذلك بناء على نصيحة الملك الكامل الذى قال له: ولدك هذا ولد ذكى لا تعلمه الجندية فالأجناد عندنا كثيرون، وأنتم بيت مبارك، وقد استبركنا بطبكم، فسيره إلى الحكيم أبى سعيد إلى دمشق ليقرئه الطب، فامتثل أبوالخير للأمر، وسافر رشيد الدين إلى دمشق حيث حفظ فيها كتاب الفصول لأبقراط، وتقدمة المعرفة، وتعلم الطب على عمه مهذب الدين بن أبى سليمان، وعلى الدخوار[1] ثم عاد إلى الديار المصرية فى سنة ٥٠٩هـ، وأقام بها، وخدم بصناعة الطب الملك الكامل.

والسبب فى أنه يكنى بأبى حليقة (تصغير حلقة) أن والده لا يعيش له ولد، فنذر أن عاش له واحد ليضع فى أذنه حليقة (قرطا)، فجاء له ولد سماه رشيد الدين وألبسه حليقة كما نذر له وبقيت الحلقة فى أذن رشيد الدين مدى حياته.

وقد خدم ابو حليقة عدداً من الملوك و السلاطين هم :

١– الملك الكامل (ت ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م).

٢– الملك الصالح نجم الدين أيوب (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م).

٣– الملك المعظم توران شاه (ت ٦٤٨هـ/١٢٥٠م).

٤– الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الملك الصالح (٦٥٨–٦٧٦هـ/١٢٦٠–١٢٧٧م).

وتوفى رشيد الدين أبو حليقة بدمشق سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م وأعقب ثلاثة بنين هم: مهذب الدين أبو سعيد، وقد سماه باسم عمه، أى عم رشيد الدين، و الثانى هو موفق الدين أبو الخير، و الثالث هو علم الدين أبو نصر.

---

(١) هو مهذب الدين عبد الرحيم بن على بن حامد، و الدخوار لقب عرف به وله تلاميذ عديدون مبرزون فى الطب منهم ابن أبى أصيبعة وابن النفيس وله مؤلفات عديدة. توفى سنة ٦٢٨هـ /١٢٣٠م).

ولرشيد الدين أبى حليقة من المؤلفات :

١- مقالة فى حفظ الصحة

٢- مقالة فى أن الملاذ الروحانية أكثر من الملاذ الجسمانية، إذ الروحانية كمالات، وإدراك الكمالات والجسمانية إنما هى دفع آلام خاصة، إذ زادت أوقعت فى آلام أخرى.

٣- المختار فى الألف عقار، وهو كتاب فى الأدوية المفردة.

٤- كتاب فى الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها بالأدوية المفردة و المركبة التى قد أظهرت التجربة نجاحها، ولم يداو بها مرضاً يؤدى إلى السلامة إلا ونجحت، التقطها من الكتب المصنفة فى صناعة الطب من آدم إلى وقتنا هذا (يعنى زمن ابن أبى أصيبعة) ونظم مشتتها ومتفرقها.

٥- مقالة فى ضرورة الموت، وذكر فى المقالة أن الإنسان ما يزال يتحلل من بدنه بالحرارة التى فى داخله، وبحرارة الهواء الذى من خارجه، كانت نهايته إلى الفناء بهذين السببين.

٦- الأدوية المفردة من نسخة خطية بدار الكتب المصرية الرقم ٥٩ طب -١٠٤٣ والظاهرية برقم ٤٧٠٥.

أفضل الدين الخونجى

ت٦٤٦ هـ/١٢٤٨م

هو الإمام العالم الصدر الكامل سيد العلماء والحكماء، أحد زمانه وعلامة أوانه، أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن ناماوار الخونجى، قد تميز فى العلوم الحكيمة، وأتقن الأمور الشرعية، قوى الاشتغال كثير التحصيل[1].

ويحكى ابن أبى أصيبعة عنه فيقول: اجتمعت به (أى بأفضل الدين الخونجى) بالقاهرة فى سنة ٦٣٢هـ، فوجدته الغاية القصوى فى سائر العلوم. وقرأت عليه بعض الكليات من كتاب القانون للرئيس ابن سينا، وكان فى الأوقات يعرض له انشداه خاطر لكثرة انصاب ذهنه إلى العلم، وتوفر فكرته فيه. وفى آخر أمره تولى القضاء بمصر، وصار قاضى القضاة بها وبأعمالها.

وتوفى الخونجى بالقاهرة يوم الأربعاء خامس شهر رمضان سنة ٦٤٦هـ ودفن بالقرافة. وقد رثاه الشيخ عز الدين محمد بن حسن الفنوى الضرير الاربلى.

ولأفضل الدين الخونجى من الكتب : شرح ما قاله الرئيس ابن سينا فى النبض، مقالة فى الخدور والورم، كتاب الجمل فى علم المنطق، كتاب كشف الأسرار فى المنطق، كتاب الموجز فى المنطق، كتاب أدوار الحميات.

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٣/١٩٩-٢٠٠

ابـن البيطـــار

ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م

أبــو محمد ضيــاء الدين عبد الله بن أحمد بن محمد المالقى، ولد بضاحيــة قريبة من ملقة، وتعلم على يد العشــاب أبى العباس بن الرومية (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م). وتابع ما كتبه عشــابو الأندلس كابن سمجون وابن خليد الغافقى، وابن واقد اللخمى وعبد الله بن صالح الكتامى صيدلانى بلاط الموحدين، وأبو الحجاج الإشــبيلى، وأطباء أفريقيا (تونس) ابن الجزار القيروانى، وأطباء المشــرق، واسحق بن سليمان الاسرائيلى وأبى بكر الرازى وابن سينا وغيرهؤلاء.

وقام ابن البيطار برحلة طويلة محفوفة بالمتاعب و المخاطر، فغادر الأندلس إلى شمال أفريقيا حتى وصل مصر و الشام وآسيا الصغرى.

وحين دخل ابن البيطار مصر عرفه أطباؤها عالما كبيرا فى الأدوية، ووصلت أخباره إلى حاكم البلاد الملك الكامل محمد بن أبى بكر (ت٦٣٥هـ / ١٢٣٨م) فاحتضنه وأكرمه بســخاء، وعينه رئيســا للعشابين فــى مملكته. واحتفظ ابن البيطار بهــذا المنصب مدى حكم الملك الصالح نجم الدين (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، وقد وضع له أعظم مؤلفاته وأشــهرها الذى سماه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. وزار ابن البيطار دمشق ولقــى ابن أبى أصيبعة، وعمل فى دمشــق بالبيمارســتان الكبــير النورى واتصل بمهــذب الدين الدخوار (ت٦٢٨هـ/١٢٣٠م) وبغيره من البيمارستان.

وليس لدينا معلومات موثقة عما إذا كان ابن البيطار قد مارس الطب بسعة كما يفعل المتفرغون لممارسة هذه المهنة[1]. وإن كان بعض المؤلفين[2] يشــير إلى أن بعض مؤلفاته (الدرة البهية) يبحث فى علم الأمراض وأعضائها وأسبابها ووظائف كل عضو من الأعضاء ومعالجة كل مرض يصيب ذلك العضو.

وتوفى ابن البيطار سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، وله عديد من المؤلفات:

١- الجامــع لمفــردات الأدوية والأغذية. ويعرف بمفــردات ابن البيطار، منه نســخ خطية عديدة فى مكتبات العالم، فيها اثنتان فى المتحف العراقى، أرقامهما ١٨٦٣ و ١٦٩٧٥.

طبع هذا الكتاب فى ٤ مجلدات فى مطبعة بولاق ســنة ١٢٩١هـ /١٨٧٤ م، وعدد صفحاتها كالآتى : ١٧٩، ١٧٩، ١٧٣، ٢١١ صفحة. ثم أعادت مكتبة المثنى ببغداد نشــر هذه الطبعة البولاقية بالأوفســت. ولاتوجد نسخ بالأسواق من هذا الكتاب

وترجــم المستشــرق لكليرك هذا الكتاب إلى الفرنســية (٣ مجلدات : باريــس١٨٧٧-١٨٨٣م) وترجمه المستشرق سونتهيمر إلى الألمانية (مجلدان، شتوتجارت ١٨٧٠ - ١٨٧٢م) كما ترجمه لاموريك، من أمراء الدولة العثمانية، إلى التركية العتيقة، ومن هذه الترجمة نسخة خطية فى أوقاف الموصل (٤: ١٨٥).

---

(١) السامرائى، التعريف بابن البيطار ١٠

(٢) خالد ناجى، ابن البيطار طبيبا ٤٢

وقد أختصر هذا الكتاب « ابن السويدى » المتوفى ٦٩٠هـ / ١٢٩١م، تحت عنوان « مختصر مفردات ابن البيطار » ومنه نسخة خطية فى المكتبة الوقفية بحلب (شرفية) برقم ١٧٣٣. وقد ضمن ابن البيطار كتابه هذا زهاء ألف وأربعمائة مادة علاجية، كان أكثر من ثلثها إضافات على ما ذكره ديوسقوريدس.وقد يرس البتانونى (٢٠٠٤) النباتات التى وردت فى جامع ابن البيطار ويعالج بها الكبد، وقد بلغت ٩٥ نوعا يستعمل كثير منها فى علاج الكبد حتى الآن.

٢- الإبانة والإعلام بما فى المنهاج من الخلل والأوهام، نقد فيه كتاب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » لابن جزلة، ومن الإبانة نسخة خطية فى مكتبة الحرم المكى [رقم ٣٦ طب] ترجع إلى القرن الثامن الهجرى، كتبها محمد بن عثمان بن محمد بن الحسين بن على الموصلى.

٣- تفسير كتاب ديوسقوريدس (شرح أدوية ديوسقوريدس) شرح فيه أسماء الأشجار والحشائش والأدوية من كتاب ديوسقوريدس، وذكر لبعض الأسماء مايقابلها بالبربرية واللاتينية المستعملة فى بلاد المغرب لعصره، منه نسخة خطية فى مكتبة الحرم المكى [رقم ٣٦ طب] تاريخها ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، وقوامها ٣٥ ورقة.

وللأمير مصطفى الشهابى دراسة عن هذا الكتاب المخطوط، فى مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة ٣/ ١٠٥-١١٢، ١٩٥٧).

٤- المغنى فى الأدوية المفردة، ويسمى أيضا مفردات ابن البيطار رتبه المؤلف بحسب أعضاء الجسم التى تستطب لها الأدوية المفردة. وقد طبع باللاتينية سنة ١٧٥٨م، ومخطوطته العربية فى باريس (رقم ٦٦٢٥، فى ٣٩٦ ورقة، تاريخها ٧٢٥هـ/١٣١٥م)، وطوب قابى سراى باستانبول (رقم ٢٠٢١ أ ٧٣٠٧) ومكتبة بلدية الاسكندرية (رقم ١٧٢٧ب) ومعهد الدراسات الشرقية فى كل من لننجراد وطشقند.

٥- ميزان الطبيب.

٦- كتاب الدرة البهية فى منافع الأبدان الإنسانية.

٧- كتاب الأفعال الغريبة والخواص العجيبة.

الأسعد المحلى

هو أسعد الدين يعقوب بن اسحق، يهودى، من مدينة المحلة من أعمال ديار مصر، متميز فى الفضائل، وله اشتغال بالحكمة واطلاع على دقائقها، وهو من المشهورين فى صناعة الطب والخبيرين بالمداواة والعلاج، وأقام بالقاهرة، وسافر فى أول سنة ٥٩٨ هـ إلى دمشق، وأقام بها مديدة وجرت بينه وبين بعض الأفاضل من الأطباء بها مباحث كثيرة ونكد، ورجع بعد ذلك إلى الديار المصرية، وتوفى بالقاهرة[1].

(١) ابن أبى أصيبعة ٣/١٩٥ - ١٩٦

ويحكى ابن أبى أصيبعة[1] عنه فيقول: ومن نوادره فى حسن المداواة أنه كان بعض أهلنا من النساء قد عـرض لهـا مرض وتغير مزاج، وتطاول بها ولم ينجح فيها علاج فلما افتقدها قال لعمى[2]، وكان صديقه، عندى أقراص قد ركبتها لهذا المرض خاصة وهى تبرأ بها إن شاء الله، تتناول فى كل يوم منها قرصاً مع شراب سكنجبين، وأعطاه الأقراص فلما تناولتها برأت.

وللأسـعد المحلى من الكتب مقالة فى قوانين طبية وهى سـتة أبواب، كتاب المنزه فى حل ما وقع من إدراك البصر فى المرايا من الشبه، كتاب فى مزاج دمشق ووصفها وتفاوتها من مصر، وأنها أصح وأعدل.

وفى مسـائل أخر فى الطب وأجوبتها، وهو يحتوى على ثلاث مقالات: مسائل طبية وأجوبتها سألها لبعض الأطباء بدمشق، وهو صدقة بن ميخا بن صدقة السامرى[3].

فتح الدين القيسى

ت بعد ٦٤٧ هـ/١٢٤٩م

هو أبو العباس أحمد بن جمال الدين ابن أبى الحوافر، من أطباء القاهرة فى القرن السابع الهجرى. وهو ابن القاضى جمال الدين طبيب الملك الكامل الأيوبى (٦٣٧ هـ/١٢٣٨م)، اشتهر بالطب وصار رئيساً لأطباء مصر. توفى بعد ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م. له كتاب بطب العيون باسم : نتيجة الفكر فى أمراض البصر[4].

التيفاشى

ت بحدود ٦٥١ هـ/ ١٢٥٣ م

أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبى بكر التيفاشى، وله من الكتب:

١- الشفاء فى الطب المسند عن المصطفى (دار الكتب المصرية).

٢- الوافى بالطب الشافى.

٣- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، وقد حققه ونشره إحسان عباس فى بيروت سنة ١٩٨٠ م.

٤- أزهـار الأفـكار فى جواهر الأحجار (مكتبة حسـن حسـنى عبـد الوهاب والكونجـرس الأمريكى وغيرها)[5]. وقد حقق الكتاب الأخير وطبع فى مصر.

(١) ابن أبى أصيبعة ١٩٦/٣

(٢) أبو الحسن على بن خليفه بن يونس بن أبى القاسم بن خليفه، عم ابن أبى أصيبعة.

(٣) صدقة بن ميخا بن صدقة السـامرى، توفى بمدينة حران فى سـنة نيف وعشرين وستمائه وهو يهودى له كتاب فى شرح التوراة.

(٤) السامرائى، تاريخ الطب، ٥٣٤/٢، حاجى خليفة ١٩٢٦.

(٥) السامرائى، تاريخ الطب ٤٩٩/٢ -٥٠٠.

الكوهين العطـــار
ت ٦٥٨ هـ/١٢٥٩ م

هو أبو المنى داود بن أبى نصر بن حفاظ المعروف بالكوهين العطار الإسرائيلى الهارونى بالقاهرة[1] وكان عميد الصيادلة فى أيام الأيوبيين. وهو من تلاميذ الشيخ السديد أبى البيان.

وقد جمع لنفسه ولولده سنة ٦٥٨ هـ كتابا جيداً فى الصيدلة باسم: منهاج الدكان ودستور الأعيان فى أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان. وكان دستوراً للصيادلة يومئذ، واستمر كذلك قرنا. ويضم الكتاب خمسة وعشرين باباً كالآتى:

١ – فيما ينبغى لمن استصلح نفسه أن يكون متقلداً بعمل هذه المركبات أن يكون على غاية من الدين والثقة والتحرز والخوف من الله تعالى أولاً ومن الناس ثانياً.

٢ – فى عمل الأشربة وطبخها وما يصلحها إذا فسدت.

٣ – فى الربوب وتربيتها.

٤– فى المربيات وكيفية تربيتها.

٥– فى المعاجين وعجنها.

٦– فى الجوارشنات وتركيبها.

٧– فى السفوفات ودقها.

٨– فى الأقراص وتقريصها.

٩– فى اللعوقات وعملها.

١٠– فى الحبوب وتحبيبها وبنادق البذور وحب رمى الدود.

١١– فى الأيارجات والمطبوخات والترياق وفى عسل الصبر وتدبيرها.

١٢– فى الأكحال وسحقها.

١٣– فى عمل الشيافات وعجنها.

١٤– فى المراهم وطبخها.

١٥– فى الأدهان وكيفية اتخاذها.

١٦– فى الأطلية واللطوخات.

١٧– فى أدوية الفم والسنونات.

١٨– فى الفتايل المسهلة والقابضة والفرزجات والحقن.

١٩– فى الضمادات والجبارات والسعوطات والنفوخات.

٢٠– فى إبدال الأدوية التى يتعذر وجودها فى الوقت الحاضر إذا دعت الضرورة إلى تركيبها، على حروف المعجم.

---

(١) حاجى خليفة ١٨٧١

٢١- فى شـرح أسماء الأدوية التى يمكن أن يحتاج إليها فى تركيب الأدوية وربما جهلت عند بعض الناظرين فيه من الصيادلة مرتبة على حروف المعجم.

٢٢- فى الأوزان والمكاييل على حروف المعجم.

٢٣- فى وصايا ينتفع بها.

٢٤- فـى كيفيـة اتخاذ الأدوية المفردة وفى أى زمان تجنى ومـن أى مكان وكيف تخزن وأى الأوعية فيها تخزن ومايفسدها وما يصلحها إذا بدا فيها الفساد وذكر ما يعمل مع بعض الأدوية ليمتنع فساده وفى أعمار الأدوية المفردة والمركبة.

٢٥- فى امتحان الأدوية المفردة والمركبة ووصف حال الجيد منها.

ويقول عن الكتاب إنه جمعه مختاراً من عدة أقرباذينات مختارة مما يسـتعمل فى هذا الزمان كالإرشاد والملكى والمنهاج وأقرباذين ابن التلميذ والدسـتور وغير ذلك من كتب الطب النفيسـة، ومما نقله عن ثقات من العشـابين وما امتحنه وجربه بيده وأخذه عن ثقه جربه من امتحان الأدوية المفردة والمركبة، ومما نقله من مشايخ عاصرهم ثقات مشتغلين بهذه الصناعة الجليلة.

ومـن الكتاب نسـخ خطية كثيرة فى مكتبات العالم. وطبع غير مـرة فى القاهرة منذ ١٢٨٧هـ وتوجد طبعة أخيرة طبعها الحلبى سنة ١٩٧١م. وكلها طبعات غير محققة. ولكن العشابين يجعلونها دستورا لهم، على رغم ما بها من تصحيف، ولذلك ينبغى أن تحقق حتى لا يستعمل العشابون نباتات غير حقيقية.

ابن أبى أصيبعة
ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م

الشـيخ موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسـم بن خليفة بن يونس الخزرجى، الطبيب المعروف بابن أبـى أصيبعة كان فاضلاً وعالماً فى الطب والأدب والتاريخ، وله شـعر كثـير منه مامدح به الصاحب أمين الدولة. وكان أبوه كحالاً، ودرس صنعته فى مصر ومارسها فى دمشق.

ولد أحمد بن القاسـم بدمشـق فى سـنة ٦٠٠ هـ فى بيت علم وأدب وأشـتهر أبوه فى عاصمة الأمويين بعلاجه للعيون أو ماكانوا يسـمونه بالكحال فى ذلك الزمن. وبعد أن أتقن العلوم اللسـانية على علماء زمانه انصـرف إلى تلقـى علوم الطب عن والده وغـيره. وكانت القاهرة فى عهده ملتقى السـبل وملتقى العلماء، والدولة الأيوبية فى عز مجدها وسؤددها، تعمل على محاربة الإفرنج الصليبيين الذين غزوا البلاد وحاولوا اسـتعمارها، فسـافر إلى القاهرة، وكان ذلك فى حكم الملك الكامل محمد الأيوبى المتوفى سـنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م، والتحق بالبيمارسـتان الصلاحى، حيث كان يعمل فيه ابن النفيس رفيقه فى المدرسـة الدخوارية بدمشق[1] وتوفى بصرخد فى جمادى الأولى سنة ٦٦٨ هـ

(١) أحمد عيسى، معجم الأطباء ١١٤، السامرائى، تاريخ الطب العربى ١١٩/٢ - ١٢١، هداية العارفين ٩٦/١.

وله من المؤلفات :

١- عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، وهو أشهر كتبه. ومنه أخذنا الكثير عن تاريخ الأطباء.

٢- حكايات الأطباء فى علاجات الأدواء.

٣- معالم الأمم وأخبار ذوى الحكم.

٤- كتاب التجارب والفوائد.

٥- كتاب إصابات المنجمين.

ولقد اشتهر ابن أبى أصيبعة بكتاب واحد هو عيون الأنباء، وظل هذا الكتاب ذخراً له على ممر العصور لأنه فريد فى بابه، ويحتوى على الكثير من التراجم التى لولا ذكرها فى هذا الكتاب لضاعت ولما عرفنا عنها أى شىء.

وقد استلفت هذا الكتاب نظر الإفرنج فتتبعوه، وقام المستشرق الألمانى موللر بطبعه نقلاً عن نسختين خطيتين عثر عليهما وذلك فى سنة ١٨٨٤م، وبعدها قامت المطابع المصرية بطبع الكتاب نقلاً عن طبعة المستشرق موللر وهى الطبعة الأولى والوحيدة عن هذا الكتاب. وقد أصبحت نادرة الوجود. وفى هذا القرن ظهرت طبعات مختلفة لهذا الكتاب.

يقول ابن أبى أصيبعة عن كتابه هذا :

فأما هذا الكتاب الذى قصدت حينئذ إلى تأليفه فإنى جعلته منقسماً إلى خمسة عشر باباً، وسميته «كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» وخدمت به خزانة المولى الصاحب الوزير العالم العادل، الرئيس الكامل، سيد الوزراء ملك الحكماء إمام العلماء شمس الشريعة أمين الدولة كمال الدين شرف الملة أبى الحسن بن غزال بن أبى سعيد أدام سعادته، وبلغه فى الدارين إرادته، ومن الله تعالى استمد التوفيق والمعونة إنه ولى ذلك والقادر عليه وهذا عدد الأبواب:

الباب الأول : فى كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها.

الباب الثانى: فى طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب، وكانوا المعتدين بها.

الباب الثالث : فى طبقات الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقليبيوس.

الباب الرابع : فى طبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقراط فيهم صناعة الطب.

الباب الخامس : فى طبقات الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه.

الباب السادس : فى طبقات الأطباء الإسكندرانيين ومن كان فى زمنهم من الأطباء النصارى وغيرهم.

الباب السابع : فى طبقات الأطباء الذين كانوا فى أول ظهور الإسلام من أطباء العرب.

الباب الثامن : فى طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا فى ابتداء ظهور دولة بنى العباس.

الباب التاسع: فى طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليونانى وإلى اللسان العربى وذكر الذين نقلوا عنهم.

الباب العاشر: فى طبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر.

الباب الحادى عشر: فى طبقات الأطباء الذين ظهروا فى بلاد العجم.
الباب الثانى عشر: فى طبقات الأ طباء الذين كانوا من الهند.
الباب الثالث عشر: فىطبقات الأطباء الذين ظهروا فى بلاد المغرب وأقاموا بها.
الباب الرابع عشر: فى طبقات الأطباء المشهورين من أطباء ديار مصر.
الباب الخامس عشر: فى طبقات الأطباء المشهورين من أطباء الشام.

ابن النفيس

٦٠٧ ـ ٦٨٧ هـ / ١٢١٠ ـ ١٢٨٨م

أبو العلاء علاء الدين على بن أبى الحزم القرشى المشهور بابن نفيس. ولد بقرية قَرْش (بفتح القاف وسكون الراء) القريبة من دمشق سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م وإليها ينسب.

كانت مصر والشام فى ذلك العهد دولة واحدة تعاقب على حكمها خلفاء الفاطميين ثم الأيوبيين فالمماليك.

درس الطب بدمشق على مهذب الدين عبد الرحيم الدخوار (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) وعلى عمران الاسرائيلى (٥٦١ – ٦٣٧ هـ / ١١٦٥ – ١٢٣٩). وكانت دمشق يومئذ تحت حكم الأيوبيين المعروفين باهتمامهم برعاية العلوم وتعضيد العلماء والأطباء، والترحيب بالوافدين والهاربين من بغداد عندما وصلتهم أخبار المغول المتربصين لغزو المشرق الإسلامى. فاحتاط ابن النفيس لنفسه ونزح إلى القاهرة عاصمة الأيوبيين قبل عشرين سنة من دخول المغول إلى بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م[1] وربما كان استدعاؤه من قبل السلطان الكامل محمد الأيوبى إلى مصر عندما اشتهر وعلا ذكره، وقد يكون ذلك سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦[2].

وكانت القاهرة يومئذ فى ذكرى أطبائها الأكابر أمثال ابن رضوان (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)، وابن جميع (ت ٥٣٣ هـ /١١٣٨م) وابن العين زربى (ت ٥٤٨ هـ /١١٥٣ م)، وابن المدور (ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م)، وابن الناقد(ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م) وابن القضاعى (ت ٥٩٨هـ / ١١٩٦م). كما كان فى القاهرة يومئذ الكمال نفيس الدين بن الزبير وابن الخونجى، وابن البيطار، وفيها أيضا البيمارستان الصلاحى أو العتيق، والبيماستان الناصرى الذى يفضل عموم البيمارستانات فى الأقطار الإسلامية[3].

والتحق ابن النفيس بالبيمارستان الصلاحى، ثم صار رئيساً له، وعميداً للمدرسة الطبية الملحقة به، ويتردد أنه انتقل إلى بيمارستان قلاوون إثر اكتمال عمارته فى سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م[4]، وزامله بهذا

(١) غليونجى ـ كتاب ابن النفيس ص ٧٨، السامرائى حـ ٢ ص ٦٧.
(٢) قطاية، ابن النفيس ص ٤٠
(٣) أحمد عيسى ـ البيمارستانات فى الإسلام ص٨٣ ـ ١٧١
(٤) السامرائى حـ٢ / ٦٨

البيمارستان ابن أبى أصيبعة الخزرجى رفيق صفه فى مدرسة الدخوار بدمشق، وزميله فى البيمارستان النورى الكبير بها. ولكن الدكتور قطاية[1] يشكك فى تردده على المنصورى حيث يقول: إنه بنى عام ١٢٨٥م أى قبل وفاة ابن النفيس بقليل وحينما أوشك أن يصل إلى الثمانين من عمره.

وقد اشتهر ابن النفيس بعلمه وطبه حتى أصبح رئيساً لأطباء مصر وطبيبا للملك الظاهر بيبرس البندقدارى. ولا يسعنا إلا أن نذكر ما أورده أحمد عيسى[2] عن المراجع المختلفة فى صفة ابن النفيس وهاك جانباً منها: « فرد الدهر وواحده، وأخو كل علم ووالده، إمام الفضائل،

وتمام الأوائل، والجبل الذى لا يرقا علاه بالسلالم، والجبل الذى لا يعلق به إلا الغريق السالم. .. ولم يكن على علم واحد بمقتصر».

كان ابن النفيس إلى جانب تنطسه فى الطب، فيلسوفاً، وعالماً بالتاريخ، وفقيها بالشريعة الإسلامية، ومتدينا على المذهب الشافعى، ولم يقرب الخمر فى حياته، وإنه دفعها عن فمه باشمئزاز لما أراد الأطباء أن يسقوه وهو يقاسى عذاب المرض إذ كان صالحاً لعلته على مازعموا أن يتناول شيئا منه وقال: لا ألقى الله تعالى وفى باطنى شىء من الخمر.

وكان إماماً شافعياً كبيراً، حتى لقب : بالصدر، والإمام، والرئيس، وابن سينا الثانى، حتى إن بعض المخطوطات تضيف: رضى الله عنه وأرضاه[3].

وكان يتردد على المدرسة المسرورية التى أسسها شمس الخواصى مسرور أحد موالى صلاح الدين، حيث كان يدرس الشريعة والفقه حسب المذهب الشافعى[4].

وعاش ابن النفيس غير متزوج منصرفاً كلية لعلمه، وعمر طويلاً إذ ناهز الثمانين من العمر، وابتنى دارًا بالقاهرة وفرشها بالرخام حتى إيوانها، وكان مجلسه يكتظ بالعلماء وأعيان القاهرة وطلاب العلم والأدب والشريعة والطب. فكان يحضر مجلسه فى داره جماعة من الأمراء والمهذب ابن أبى حليقة رئيس الأطباء وشرف الدين بن صغير، ومن تلاميذه الأعيان البدر حسن الرئيس وأمين الدولة ابن القف والسديد الدمياطى وأبى الفرج السكندرى وأبى الفرج بن صغير. ووقف داره وكتبه على البيمارستان المنصورى الذى خدم فيه ما يقارب الخمسين سنة.

كان ابن النفيس علامة فى المعرفة الطبية، وعلى رغم غزارة معلوماته فى الصنعة، ووفرة مؤلفاته فيها، وكثرة بحوثه الأصلية فى علومها الأساسية، فإنه لم يكن ممارساً حاذقاً بقدر ما كان عالماً مبتكراً[5]، وكان كثير القراءة والكتابة، حتى روى عنه أنه « إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام المبرية، ويدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ فى التصنيف إملاء من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كل القلم وحفى رمى

(١) قطاية ـ ابن النفيس ص ٤١

(٢) أحمد عيسى، معجم الأطباء ص ٢٩٢ ـ ٢٩٦

(٣) قطاية، ابن النفيس ص٤٠

(٤) نفس المصدر ص ٤١

(٥) أحمد عيسى، معجم الأطباء ٢٩٥ – ٢٩٦ و ابن إياس – المختار من بدائع الزهور فى وقائع الدهور ص ٩٢ – ٩٣

بـه وتنـاول غيره لئلا يضيع عليه الزمان فى برى القلم» . وروى عنه أيضا أنه «دخل مرة إلى الحمام، فلما كان تغسيله خرج إلى مسلخ الحمام، واستدعى بدواة وقلم وورق، وأخذ بتصنيف مقالة فى النبض إلى أن أنهاها ثم عاد ودخل الحمام وأكمل تغسيله».

ويقال[1] إنه قال: « لو لم أعلم أن تصانيفى تبقى بعدى عشرة آلاف سنة ما وضعتها».

ويذكر السامرائى[2] عن ترجمة حياة ابن النفيس، فيقول: « إن ابن أبى أصيبعة الذى زامل ابن النفيس فـى دمشـق والقاهرة لم يذكر فى كتاب طبقات الأطباء حتى مجرد اسمـه، فافترض الكتاب المعاصرون أن مؤلـف هـذا الكتاب قد أهمل ذكر ابن النفيس بغضاً له وحسـداً لمقامه العالى الـذى يتمتع به فى القاهـرة. وقـد عثر حديثاً فى المكتبة الظاهرية بدمشـق مـن كتاب عيون الأبناء لابن أبى أصيبعة غير النسخة المطبوعة المألوفة لدينا، يقول فيها المؤلف عن ابن النفيس: إنه كان شجاعاً فاضلاً كالبحر الخضم، والطود الأشـم للعلوم... ولو لم يكن له غير شـرح غوامض القانون (يقصد قانون ابن سينا فى الطب) لكفى به دليلاً على غزارة فضله[3]. ويجب أن نذكر أن هذه الإشارة قد وضعت بصيغة الماضى كما هو واضح بينما عاش ابن النفيس عشـرين سـنة بعد وفاة ابن أبى أصيبعة، وعلى هذا تكون تلك الإشـارة من صنع النساخ لا بقلم المؤلف».

ويقول السامرائى[4]: « لقد كان ابن النفيس آخر ومضة من سراج العلوم عند العرب، فلم يعرف بعده من كان مثله أو ما يقاربه علماً وابتكاراً فى البحث العلمى، ولسـوء الحظ لم يعقبه أحد من العرب من يهوى الكشـف عن المعارف الجديدة ليسـتفيد من المبادرات القيمة التى أرسـاها ابن النفيس للمعنيين بموضوعى التشريح والفسيولوجيا».

وتوفـى ابـن النفيس فى القاهرة سـنة٦٨٧هـ/١٢٨٨م، وذلك يوم الجمعة الحـادى والعشـرين من ذى القعـدة. وفـى طبقات الشـافعية توفى فى ١١ ذى القعدة سـنة ٦٨٩ هـ عن نحو ٣٠ سـنة، وفى طبقات الشافعية لابن الملقن مات بالقاهرة سنة ٦٨٧ هـ بمنزله بالمنصورية وقد قارب الثمانين.

ابن النفيس والتشريح

تختلف وجهات نظر الباحثين تجاه قيام ابن النفيس بتشـريح جثة الإنسـان. فهى بين منكر ومؤيد، أو مكتف بأن ابن النفيس شرح جثة الحيوانات فقط. ولعل المنكرين يخفون من وراء أفكارهم رغبة فى إبداء أن ما اكتشفه ابن النفيس فى الدورة الصغرى كان محض صدفة أدت إلى فرضية سعيدة، أى افتراض نظرى تطابـق مـع الحقيقة عن طريق الصدفة، وهذا مـا رآه ماكس مايرهوف (١٨٧٤ – ١٩٤٥). أما الفريق الذى

(١) أحمد عيسى، معجم الأطباء ص ٢٩٥

(٢) السامرائى ٢/ ٦٨ - ٦٩

(٣) غليونجى ص ٧٣

(٤) السامرائى ٢/٧٣

يعتقد أن ابن النفيس قد شرح جثة الإنسان، فلديه العديد من البراهين، معتمدين على ما ذكره ابن النفيس ردا على جالينوس فى وصف الدماغ، وعلى ابن سينا فى وصفه للأعصاب القحفية، وعلى جالينوس فى تشريح الأقنية الصفراوية. وفى ردوده ما يؤكد اطلاعه العملى على التشريح، وأنه شاهد هذه الأشياء مراراً. وسنوضح فيما بعد ما يؤكد أن ابن النفيس مارس التشريح عمليا، على رغم أنه قال فى مقدمه كتاب «شرح التشريح». « وقد صدنا مباشرة التشريح وازع الشريعة وما فى أخلاقنا من رحمة. فإن الدكتور قطاية[1] يؤكد أن ابن النفيس مارس التشريح، ولكنه مارسه فى السر، مؤكدا أن فكرة تحريم تشريح الجثة الإنسانية، فكرة شعبية عامة نابعة من الاحترام الشديد للأجداد والموتى، ولا علاقة لها بالدين وتعاليمه، واستشهد بما ذكره الشيخ العروسى لكلوت بك فى هذا الشأن. إذ يذكر كلوت بك أنه توصل إلى الحصول على موافقة العروسى لتدريس التشريح لكنه أخذ منه عهداً بألّا يفعل إلا باحتراس وسرية.

ولذلك فإننا نعتقد كما يرى الدكتور قطاية وغيره مثل الدكتور سامى حداد والدكتور بول غليونجى والدكتور كمال السامرائى أنه ليس هناك ما ينفى أن ابن النفيس قد قام بتشريح جثة الانسان ولكن فى سرية، مراعاة لمشاعر العامة. ويقول تاتون[2] فى هذا الموضوع: « وإذا كان ابن النفيس قد اضطر إلى التصريح بأنه لم يمارس التشريح الجراحى، فإن كتاباته لا تسمح بالشك فى أنه قد قام بتجارب مباشرة، ثم إنه من الناحية التشريحية قد قام باكتشاف لا ينازعه فيه أحد.

إسهامات ابن النفيس العلمية فى التشريح

١ – دخول الدم إلى الدماغ

يقول جالينوس، فى وصف دخول الدم إلى الدماغ، « يصل الدم إلى الدماغ فى القسم الذى يسميه البعض الدماغ المقدم، عبر الأم الجافية التى تقسم الدماغ إلى قسمين...».

ورد عليه ابن النفيس فى كتابه « شرح التشريح»: « إن الروح الحيوانى ينفذ أولا إلى البطن المؤخر ثم ينفذ بعد ذلك إلى البطنين الآخرين، وهيئة التشريح تصدق ذلك وتكذب قولهم، فإن نفوذ الشرايين إلى داخل القحف معلوم أنه لا يكون من البطن المقدم».

ويعلق الدكتور قطاية على ذلك بأن هذا صحيح كل الصحة.

٢– الأعصاب القحفية

يقول ابن سيناء فى وصف الزوج السادس من الأعصاب القحفية (أى العصب التاسع والعاشر والحادى عشر من التسمية الحديثة) « وأما الزوج السادس فإنه ينبت من مؤخر الدماغ متصلاً بالخامس مشدوداً معه بأغشية وأربطة كأنهما عصبة واحدة، ويخرج من الثقب الذى فى منتهى الدرز اللامى».

---

(١) قطاية– ابن النفيس ٥٠ – ٥١

(٢) تاتون– تاريخ العلوم العام ص ٥١٣

ويعلـق عليـه ابن النفيس بقوله : « قوله متصلاً بالخامس مشـدوداً معه وأغشـية وأربطة، إنى إلى الآن لا أعرف لهذا الاتصال حكمة ولم أتحقق من صحته، فإن منشأ هذا الزوج خلف منشئه الخاص، ومخرجه خلف مخارجه، فلم يتقدم حتى يرتبط بالخامس ثم يتأخر ليخرج».

ويعلق الدكتور قطاية[1] بقوله : وهو نقد صحيح.

٣- تشريح الأقنية الصفراوية

يقول جالينوس فى تشريح الأقنية الصفراوية : «... سترى (عند التسلخ أى التشريح) القناة التى تجرى من حويصل الصفراء إلى بداية المعاء الاثنى عشـر تحت البواب بقليل وسـترى فى بعض الحيوان النقطة التى تتضخم فيها نهاية المعى الدقيق حول البواب... وفى الوقت نفسـه سـترى قناة صغيرة تذهب أسفل مع الوريد الذاهب إلى الاثنى عشر يتجه إلى الأسفل...».

ويكرر ابن سـينا الخطأ نفسـه فيقول: «. ... وهذا المجرى (أى القناة الصفراوية) تتصل أكثر شـعبه بالاثنى عشر، ربما اتصل شيء صغير منه بأسفل المعدة، وربما وقع الأمر بالضد فصار الأكبر المتصل بالوعاء الأغلظ إلى أسفل المعدة والأصغر إلى الاثنى عشر».

ويقـول الدكتـور قطايـة[2]، أول من أبدى هـذه الملاحظة، أنـه إذا عدنا إلى كتاب أندريـا فيزاليوس A.Vesalius (١٥١٤-١٥٦٤م) الذى يعتبره الغرب مؤسـس علم التشـريح، نجده يقع فى الخطأ نفسه، وكذلك فعل ليوناردو دافنشى L. De Vinci (١٤٥٢-١٥١٩م) فى رسومه التشريحية الشهيرة.

ويبين الدكتور قطاية: كرروا جميعًا خطأ جالينوس. .. ماعدا ابن النفيس الذى يقول منتقداً جالينوس الـذى ادعـى أن « المرارة ينفذ منها إلى الأمعـاء مجرى آخر تنفذ منه الصفـراء إلى تجاويف الأمعاء. وهذا لامحالة باطل، فإن المرارة شاهدناها مراراً، ولم نجد فيها ماينفذ لا إلى المعدة ولا إلى الأمعاء».

وهكـذا فقـد صحح ابن النفيس خطأ جالينوس ومن تبعه قبل المشـرحين الغربيـين بقرون عدة. ويقول الدكتور قطاية[3] : « وهذا اكتشاف جديد يضاف إلى اكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى.

٤- تشريح العظام والمفاصل

يقول ابن النفيس: « أما تشـريح العظام والمفاصل ونحوهما فيسـهل فى الميت من أى سبب كان موته، وأسهل ما يكون إذا مضى على موته مدة فنى ما عليه من اللحم حتى بقيت العظام متصلة بالأربطة ظاهرة، فإن هذا لايفتقر فيه إلى عمل كثير حتى يوقف على هيئة عظامه ومفاصله».

ونفهم من هذه العبارة أن ابن النفيس كان يمارس تشريح الانسان على أجداث الموتى، أو على الأقل على عظامه ومفاصله، وإلا فكيف علم أن ربطة المفاصل لاتفنى إلا بعد فناء اللحم (السامرائى ص ٧٠).

(١) قطاية – ابن النفيس ص ٥٧

(٢) قطاية – ابن النفيس ص ٥٨

(٣) قطاية – ابن النفيس ص ٥٨

٥- تشريح العروق الصغار

يقول ابن النفيس: أما تشـريح العروق الصغار التى فى الجلد، وما يقارب منه، فيعسـر فى الأحياء لمـا بينـاه، وكذلك فى الموتى الذين ماتوا لمرض ونحـوه وخصوصاً ما كان من الأمراض ما يلزمه قلة الدم والرطوبات، فيخفى تلك العروق، كما فى الإسهال والدق (السل) والنزف.

٦- اكتشاف الدورة الدموية الصغرى

يعـد اسـم ابن النفيس و الـدورة الدموية الصغرى مرادفين فى تاريخ الاكتشـافات الطبية، فقد كان السائد، كما ذكر جالينوس، أن الدم يمر من البطين الأيمن إلى البطين الأيسر عبر ثقوب أو منافذ موجودة فى الجدار الفاصل بين البطينين لكنها غير مرئية. وزعم ابن سينا أن فى القلب ثلاثة بطينات لا اثنتان: أيمن ينصب فيه الدم، وأوسط يستعد فيه، وأيسر يتروح فيه، أى يمتزج بالهواء المحمل بالروح الحيوية القادمة من الرئتين عن طريق الشريان الرئوى (الذى يسمى اليوم بالأوردة الرئوية). وكانت الفكره السائدة أنه لا صلـة بين الشـرايين والأوردة إلا عـبر المنافذ غير المرئية فى القلب، والجهـاز الوريدى منفصل عن الجهاز الشريانى. ولكن العالم العربى ابن النفيس انتقد تلك النظرية ووضحها فى كتابه «شرح التشريح» وجاء بالنظرية الصحيحة علمياً.

ويقول ابن النفيس :

«.... وهـذا التجويـف هو التجويف الأيمن من تجويفى القلـب، وإذا لطف الدم فى هذا التجويف فـلا بـد من نفوذه فى التجويف الأيسـر حيث يتولد الروح، ولكن ليس بينهمـا منفذ، فإن جرم القلب هنـاك مصمـت، ليس فيه منفذ ظاهر كمـا ظنه جماعة، ولا منفذ غير ظاهر يصلـح لنفوذ هذا الدم كما ظنـه جالينوس. فإن مسـام القلب هناك مسـتحصفة وجرمه غليظ. فلابد وأن يكـون هذا الدم إذا لطف نفـذ فى الوريد الشـريانى إلى الرئة ليذوب فى جرمها ويخلـط الهواء، ويتصفى الطف مافيه، وينفذ إلى الشـريان الوريدى ليصل إلى التجويف الأيسـر من تجويفى القلب وقد خالط الهواء وصلح لأن يتولد منه الروح.....».

ويقـول أيضـا: « قوله (أى قول جالينوس) وإيصال الدم الذى يغذو الرئة إلى الرئة من القلب، هذا هو الرأى المشهور، وهو عندنا باطل».

ويقول كذلك: «قوله (أى قول ابن سينا) وفيه ثلاثة بطون، هذا كلام لا يصح فإن القلب له بطينان فقـط، أحدهمـا مملوء من الدم وهـو الأيمن، و الآخر مملوء من الروح وهو الأيسـر، ولا منفذ بين هذين البطينين البته، وإلا كان الدم ينفذ إلى موضع الروح فيفسد جوهرها، والتشريح يكذب ما قالوه».

ولقد وصف ابن النفيس الشرايين الإكليلة التى تغذى عضلة القلب: إن غذاء القلب إنما هو من الدم المار فيه من العروق المارة فى جرمه. وجميع الأدلة تؤكد أن ابن النفيس كان أول من اكتشف وجود الدورة

الدموية الصغرى، أما هارفى الإنجليزى[1] المتوفى سنة ١٦٥٧م والذى قيل عنه وهماً إنه كان أول من عرف الدورة الدموية الصغرى، فإنه قد بحث فى دورة الدم بعد ما يزيد على الثلاثة قرون ونصف من وفاة ابن النفيس. والتسلسل التاريخى لنشر وترجمة كتاب شرح تشريح القانون يؤكد ذلك ويوضحه.

ترجم أندريا ألباجو[2] A. Alpago (١٤٥٠ هـ – ١٥٢٢م) عدداً من الكتب العربية، خاصة القانون لابن سينا، وقد درس اللغة العربية، وأتقنها إلى حد أنه يقول فى أحد كتبه : «.... أن أشرح بترتيب أجدى، وبأحسن ما يمكننى من المهارة كل الكلمات الموجودة فى هذه الكتب لابن البيطار وابن النفيس....». وقد قيل: إن القسم المتعلق بالدورة الدموية فى الرئة كان أحد تلك الأقسام التى ترجمها ألباجو. إلا أن هذه الترجمة قد فقدت. وأن ما نشره شمعون السمعانى[3] سنة ١٧٩٢م عن فهرس مكتبة عائلة الكونت نانى Nani فى البندقية، أوضح وجود مخطوطة لشرح التشريح لابن النفيس نسخت سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م.

وخلال الفترة الواقعة بين سنة ١٢٨٨م على وفاة ابن النفيس وسنة ١٥٤٧م تاريخ نشر ترجمة ألباجو، لم يتحدث أحد قط عن الدورة الدموية فى أوروبا. ولكن وبعد ذلك التاريخ انطلقت الأقلام تكتب فى ذلك[4].

وبعد ترجمة ألباجو لشرح القانون بأقل من سنوات، صدر كتاب إصلاح المسيحية Christianimi Restitues سنة ١٥٥٣م مؤلف من سبعمائة صفحة يتحدث عن اللاهوتيات، وينتقد التعليم السائد فى ذلك الزمان، ماعدا ست صفحات تتحدث عن تشريح القلب والدورة الدموية الصغرى. وقد ألفه راهب أسبانى هو ميشيل سرفيتوس M Servitus ، وهو غير عالم بالطب، درس اللاهوت بسرقسطة، والتوراة بتولوز بفرنسا. والتحق بقسم التشريح فى جامعة باريس. ولعل ما أدخله من معلومات طبية كان منها ما قرأه فى ترجمة ألباجو لكتاب شرح القانون.

وقد آثار كتابه ضجة فى أوروبا، فطرد من جامعة باريس، وتشرد بين المدن وانتهى أمره فى سنة ١٥٥٣م بالإعدام حرقاً هو وكتبه فى جنيف. ومن حسن الحظ أن الكتاب الذى يحتوى على وصف الدورة الدموية فى الرئة لم تمسه النار، فقرأه الناس على أنه من عمل سرفيتوس، لا منقولا عن ترجمة ألباجو لكتاب ابن النفيس.

وبعد نشر كتاب سرفيتوس بعام واحد، نشر عالم أسبانى آخر من بلدة سرفيتوس نفسها، ومن الثقافة نفسها، يدعى فالفردى دوهمسكو..... Valverde de Hamusco كتابا بعنوان « التشريح وتاريخه» سنة ١٥٥٤ م، وفيه ذكر للدورة الدموية.

---

(١) هارفى ـ طبيب وعالم فسيولوجى انجليزى مارس مهنته فى بلاط الملك شارل الأول، وبحث فى الدورة الدموية بجامعة لندن ونشر عمله بعنوان فى التشريح عن نبض القلب وحركة الدم فى الحيوان. توفى بعمر يقرب من الثمانين سنة ١٦٥٧ م

(٢) أندريا ألباجو طبيب إيطالى ذهب إلى دمشق مكث فيها قرابة الثلاثين عاماً، وترجم الكثير، ومن الجملة، مقاطع من شرح القانون لابن النفيس

(٣) راهب مارونى لبنانى كان أستاذاً للغات الشرقية فى الفاتيكان ثم فى باروق (١٧٥٢– ١٨٢١م)

(٤) قطاية – ابن النفيس ص ٧٣

وبعد ذلك بعام، أى سنة ١٥٥٥م، ظهرت الطبعة الثانية لكتاب فيزاليوس[١] وفيها وصف لتشريح القلب والدورة الدموية، رغم أن الطبعة الأولى لم تذكر شيئاً عن الدورة الدموية، بل بضع جمل مقتضبة عن تشريح القلب وفيها يؤكد عدم وجود ثقوب بين بطينى القلب.

ويعلق الدكتور قطاية[٢] على هذا السرد التاريخى فيقول : كان فى بادوفا نسخة من كتاب شرح التشريح لابن النفيس وهى التى جلبها الباجو معه من دمشق.

كان الأطباء الأساتذة فى بادوفا، وكل أوروبا، يتكلمون العربية وعلى رأسهم فيزاليوس، الذى لم يتعرض للدورة الدموية فى كتاب إلا فى طبعته الثانية، بعد أن نشر سيرفيتوس وفالفيرى وصفاً لها فى كتابيهما.

وتوالت النشرات والكتب التى تحوى الدورة الدموية الصغرى ففى بادوفا سنة ١٥٥٩م. أصدر ريالدوكولومبو R. Colombo أستاذ الجراحة كتاباً «عن التشريح » وفيه ذكر لتشريح القلب والدورة الدموية الصغرى. وفى عام ١٥٧١م نشر اندريا سيزالبينيو A. Caesalpino كتاباً بعنوان «مواضيع المشائين» ذكر فيه الشىء نفسه، وكان أول من استعمل كلمة دورة.

ثم جاء الإنجليزى هارفى W.Harvey إلى بادوفا للدراسة وتتلمذ على الأستاذ فابريسيوس Fabrizios، ومكث فيها من عام ١٥٩٧إلى١٦٠٢م، أى خمسة أعوام، لابد أنه اطلع فيها على كل الكتب المتعلقة بالتشريح، وبالدورة الدموية بشكل خاص، نظراً لاهتمامه بالموضوع، وربما كان يتقن العربية واطلع على كتاب ابن النفيس.

وفى عام ١٦٢٨ م نشر هارفى كتاب « دراسة تشريحية تحليلية لحركة القلب والدم فى الحيوان». Exercitato Anatomica de Motu Cordis and Sanguiris in Animalius.

ومنذ ذلك الحين، والعالم يتوهم أن هارفى هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى، حتى جاء طبيب مصرى، هو محيى الدين التطاوى[٣]، وكان يبحث فى المخطوطات الموجودة فى مكتبة برلين عام ١٩٢٠م ليحدد موضوع أطروحة لنيل الدكتوراه فى الطب البشرى، فى موضوع تاريخ الطب العربى وظهرت بين يديه المخطوطة رقم ٦٢٢٤٣ وعنوانها : شرح تشريح القانون.

وذهل الطالب المصرى حينما وقع على القسم المكرس لتشريح تجاويف القلب والدورة الدموية، لأنها تتطابق تماماً مع معارف القرن العشرين على رغم أنها مكتوبة فى القرن الثالث عشر.

---

(١) أندريا فيزاليوس A. Vesalius (١٥١٤ – ١٥٦٤م) أستاذ التشريح فى جامعة بادوفا. درس اللغة العربية على الحاخام عازار دو فرايبورج. ونشر كتابه الشهير « بنية الجسم الإنسانى» De Humani Corporis Fabrica.

(٢) قطاية – ابن النفيس ص ٧٥

(٣) محى الدين سيد أحمد التطاوى من مواليد ٧ أكتوبر ١٨٩٦م فى محلة منوف، درس فى مدرسة الجميزة بطنطا والقاهرة، وفى عام ١٩١٨م حصل على شهادة البكالوريا وكان ترتيبة ١٢٥، وفى عام ١٨–١٩١٩ درس فى مدرسة الهندسة العليا فى الجيزة، وسافر لدراسة الطب فى برلين عام ١٩٢٠، وأنهى دراسته صيف عام ١٩٢٣ فى جامعة البيرلودفج فى فرايبورج. وقدم أطروحة للجامعة المذكورة عام ١٩٢٤م. وعاد إلى مصر وعمل فى وزارة الصحة، وتوفى عام ١٩٤٥ أثناء مكافحته لوباء التيفوس.

ولقد أثار ذلك اهتمام الباحثين، وعرف الجميع حينذاك أن سرفيتوس ومن بعده هارفى كانوا سراقا لهذه المعلومات من ترجمة ألباجو وما تبعها من كتب.

وكانت أطروحة القطاوى لنيل درجة الدكتوراه فى فرايبورج سنة ١٩٢٤م بعنوان الدورة الرئوية تبعا للقرشى : Der Lungenkreislauf nach El Korashi.

ولقد أرسلت الأطروحة إلى ماكس مايرهوف بالقاهرة، لعلمه باللغة العربية فأيد مايرهوف ما جاء فى الأطروحة، ونقل تفاصيل الحدث إلي جورج سارتون، مؤرخ العلوم الأمريكى الشهير (البلجيكى الأصل) فأدرج الخبر فى مقدمة كتابه :

ويقول مايرهوف : «إن ما أذهلنى هو مشابهة، لا بل مماثلة بعض الجمل الأساسية فى كلمات سرفيتوس، لأقوال ابن النفيس كانت ترجمت ترجمة حرفية » أى إن سرفيتوس، وهو رجل دين متحرر لا طبيب، وقد ذكر الدورة الدموية فى الرئة بلغة ابن النفيس الذى عاش قبله بمايزيد على القرن ونصف.

ويقول الدوميلى[1]: « وينبغى أن نستخلص من ذلك أن هذا الطبيب العربى (أى ابن النفيس)، الذى لم يستطع ولم يرد (كما قال ذلك صراحة) أن يزاول التشريح، قد استطاع أن يكشف عن هذه الدورة الدموية الصغيرة، التى لم يوفق جالينوس فى إثباتها، وذلك بمجرد إعمال الفكر فيما عرضه العالم اليونانى. وعلى رغم اعتراف الدوميلى بسبق ابن النفيس، إلا إن تعصبه أعماه فأراد أن يؤكد عدم قيام ابن النفيس بالتشريح العملى وأنه مجرد تفكير وتدارس لما عرضه جالينوس. عموما ابن النفيس – سواء قام بالتشريح أم لم يقم به – فإنه على رغم كل شىء هو صاحب السبق فى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى.

مؤلفات ابن النفيس

ذكر الباحثون عدداً من مؤلفات ابن النفيس[2]، وإن كان يظن أن له من المؤلفات أكثر مما وصلنا منها. ويقول السامرائى: قد يكون الذى فقد منها أكبر حجما فصعب استنساخه كما صعب حمله والإبقاء عليه، وفيما يلى نسرد قائمة بكتبه ومؤلفاته كما وردت فى المؤلفات العديدةعن ابن النفيس:

١– شرح تشريح القانون

وهو شرح تشريح ابن سينا، وعلى رغم أنه من أهم كتب ابن النفيس، إلا إنه لم يكن له الصيت الذى يستحقة من لدن الأطباء العرب. ويحتمل أن يكون ذلك السبب كون الكتاب فى موضوع من العلوم الأساسية التى لا يميل الأطباء إلى قراءتها[3]، أو لأن فيه نقدا على جالينوس وابن سينا اللذين كانا إلى ذلك الوقت يتمتعان بالحصانة الأدبية والعلمية ضد مايشين اسميهما.

---

(١) الدوميلى ص٣٢٣.

(٢) غليونجى ــ ابن النفيس ص ١٠٠–١٠٤، السامرائى٢/٧٣–٧٦ قطاية– ابن النفيس ٨١–٨٣، الدوميلى ص ٣٢٦–٣٢٧ أحمدعيسى – معجم الأطباء ٢٩٢–٢٩٦، وغيرهم.

(٣) السامرائى ٢/٧٥.

وتنبع قيمة الكتاب العلمية من أمور ثلاثة: أولها وصفه لعمله المبتكر فى اكتشاف الدورة الدموية فى الرئة. وثانيهما اكتشاف أن عضلة القلب تتغذى من الأوعية الدموية المبثوثة فى داخلها لا من الدم الموجود فى أجوافه. وثالثهما معرفتنا من الكتاب بثقة المؤلف العظيمة بنفسه ونقده أعظم طبيبين عرفهما العرب إلى ذلك الوقت، وهما جالينوس وابن سينا[1].

وقد قدم ماكس مايرهوف نص الكتاب والترجمة لسبع قطع منه تتعلق بالدورة الدموية، وذلك فى بحثه:

Ibn an-Nafis und seine Theorie des Lungenkreislaufs (Berlin, Quellen u. Studien Z. Gesch. d. Nat. u. Med. IV, 1935, p. 37).

ويقول ابن النفيس فى مقدمة «شرح التشريح»: «وأما منافع كل عضو من الأعضاء فإنما فى تعرفها ما يقتضيه النظر المحقق، والبحث المستقيم ولا علينا وافق ذلك رأى من تقدمنا أو خالفه».

وكانت فلسفته فى التشريح هى الفلسفة الغائية، إى أن لكل مخلوق حكمة إلهية فى خلقته، قد يستطيع العقل الإنسانى أن يدركها وقد لا يستطيع. فليس الوجود عبثا، فيقول: «ولولا ذلك لكان هذا الوجود عبثا وهو محال».

وتتضمن مقدمة الكتاب خمسة بحوث فى (فن) التشريح نثبتها فيما يلى بتعابير ابن النفيس:

البحث الأول: فى اختلاف الحيوانات فى الأعضاء.

البحث الثانى: فى فوائد (قواعد) علم التشريح.

البحث الثالث: فى إثبات منافع الأعضاء.

البحث الرابع: فى المبادئ التى يستخرج بها العلم لمنافع الأعضاء بطريق التشريح.

البحث الخامس: فى ماهية التشريح وآلاته.

ولكتاب شرح تشريح القانون مخطوطة فى الأسكوريال، وبرلين، وأستانبول وباريس، وطهران، والموصل، وكاليفورنيا، ومكتبة ولكم بلندن. وربما كانت أكملها وأفضلها جميعا هى المخطوطة الأخيرة، وهى موضوعة ضمن مخطوطة شرح القانون.

٢- شرح القانون

وقد وصفه ابن النفيس كما يلى:

شرح التشريح: ويجمع تشريح الكتاب الأول والثالث من القانون

وشرح الأقربازين: ويجمع الأدوية المفردة والمعالجة.

وشرح الأمراض المختصة بالأعضاء من الرأس إلى القدم.

وشرح الأمراض غير المختصة بعضو من الأعضاء (كالحميات).

---

(١) السامرائى ٢/٧٥.

وقيل: إن هذا الكتاب بعشرين مجلدا، قسم منه بمكتبة أكاديمية نيويورك، ومجلس شورى ملى، وويلكم والمتحف العراقى. ونسخة معهد الويلكم هى الوحيدة التى تحتوى على شرح التشريح.

وقد قيل: شرح القانون فى عشرين مجلداً شرحاً، حل فيه المواضع الحكمية، ورتب فيه القياسات المنطقية، وبين فيه الإشكالات الطبية، ولم يسبق إلى هذا الشرح، لأن قصارى كل من شرحه أن يقتصر على الكليات إلى نبض الحبالى ولا يجرى فيه ذكر الطب إلا نادراً[1].

٣- موجز القانون، أو الموجز فى الطب كما يسمى أحيانا.

وهو اختصار لقانون ابن سينا فى الطب، ما سوى قسم التشريح ووظائف الأعضاء، مما جعله سهل الحمل والقراءة، فانتشر بين القراء وحل محل القانون لدى طلبة العلم، وصار موضع تعليق واهتمام كثير من الأطباء. وتوجد عدة موجزات للقانون، أشهرها وأفضلها: موجز ابن النفيس.

وتوجد طبعات شرقية كثيرة لهذا الكتاب، كما توجد شروح له، منها شرح أبى اسحاق ابراهيم بن محمد الحكيم (ت ٦٩٠هـ /١٢٩١م) الذى توفى بعد ثلاث سنوات من وفاة ابن النفيس واختصره جمال الدين محمد بن محمد الأقصرائى (ت ٧٩٤ هـ/ ١٣٩٨م) بكتابه الذى سماه حل الموجز، وشرحه ابن عوض الكرماتى (أتمه سنة ١٤٣٣م) فى كتابه المسمى: شرح الموجز، وهو من أفضل الشروح. وكذلك الشرح المغنى لسديد الدين الكازرونى[2].

وهناك تعليقات آخرى على الكتاب كان آخرها لمحمد بن أحمد الأقساطى المولود سنة٨١٠هـ/١٤٠٧م.

وقد ترجم كتاب موجز القانون الى التركية والعبرية والإنجليزية وطبع فى كلكلتا سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م، وطبع على الحجر فى طهران ثم فى لكنو سنة ١٩٠٦م.

٤- شرح مفردات القانون

وهو جزء من شرح القانون. ومخطوطته موجودة فى أياصوفيا.

٥- المختار من الأغذية

ويتكلم فيه المؤلف عن الغذاء فى الأمراض الحادة، ومخطوطته بمكتبة برلين.

٦- شرح فصول أبقراط

أصل هذا الكتاب لأبقراط الذى كان يعجب به ابن النفيس، فاعتنى بشرحه، ومخطوطته بمكتبة أياصوفيا، وجوته ودار الكتب المصرية. وقد طبع الكتاب بطهران سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م. وهو عبارة عن كلمات وحكم ومقاطع صغيرة، يبدأ بقوله: «العمر قصير، والصناعة صعبة، والتجربة خطر...».

---

(١) أحمد عيسى، معجم الأطباء ٢٩٥

(٢) برهان الدين نفيس بن عوض بن حكيم المتطبب الكرمانى المعروف بلقب النفيس وكان فى خدمة السلطان أولغ بك فى سمرقند وكان حيا فى ٨٤١هـ/١٤٣٨م. وتوفى حوالى ٨٤٩ هـ /١٤٤٦م.

٧- شرح تقدمة المعرفة لأبقراط

والكتاب شرح لكلمات أبقراط، وهى عبارة عن مقدمة فى علم الأمراض، أو ما يسمى بالسريريات إذ يذكر حال المريض ولون وجهه وتعبيره، وهيئة العينين، وحركاتهما وحركات اليدين، وهيئة الجفن والعينين والأنف، ثم طريقة الاستلقاء وهيئتهما عند الصحيح والمريض.. حتى يصل إلى التعرق وصفاته وأنواعه. ثم الكلام عن الأورام وأحجامها وأنواعها إن كانت حارة وباطنة.

وتوجد مخطوطة فى أياصوفيا، ونسخة فى المكتبة الوقفية بحلب (سوريا) تحت رقم: ١٧٣٦[1].

٨- شرح المسائل الطبية لحنين بن اسحاق:

وكتاب حنين مكتوب للطلاب على شكل سؤال وجواب. ومخطوطته بمكتبة لا يدن.

٩- تعليق على كتاب الأوبئة لأبقراط

لعله هو شرح ابينيميا لأبقراط وتفسير الأمراض الوافدة.

١٠- شرح تشريح جالينوس

ويحتوى على نقد آراء جالينوس فى التشريح ويشك فى تبعيته لابن النفيس-منه نسخة فى أياصوفيا.

١١- تفاسير العلل وأسباب الأمراض

١٢- كتاب الشامل فى الصناعة الطبية

وهو موسوعة وضعها المؤلف على غرار كتاب الحاوى فى الطب للرازى، إلا أنه أكبرحجما. وقد ذكر خليل بن أيبك الصفدى، فى كتابه «الوافى بالوفيات»: أن ابن النفيس صنف كتاب: «الشامل فى الطب؛ يدل فهرسته على أنه يكون فى ثلاثمائة سفر ... وبيض منها ثمانين سفرا، وهى الآن وقف بالبيمارستان المنصورى بالقاهرة».

وذكر دكتور سلمان قطاية أن الدكتور نقولا هير قام بدراسة شيقة فى هذا الكتاب، فنشر مقالا للتعريف بمحتوياته والإرشاد إلى بعض مخطوطاته فى دور الكتب، كما أجرى الدكتور البير زكى اسكندر دراسة عن هذا الكتاب ساهم بها فى المؤتمر الثانى للطب الإسلامى فى الكويت سنة ١٩٨٢م.

ويعزو ابن النفيس نجاح العمليات الجراحية إلى العناية التامة بثلاث مراحل: المرحلة الأولى ويسميها «وقت الإعطاء»، وفيها يتعرف الجراح موضع العلة، وتسمى بهذا الاسم لأن المريض يعطى الجراح، أى يسلمه بدنه للتعرف فيه كيف يشاء، أما المرحلة الثانية فيسميها «وقت العمل» وفيها يقوم الجراح، بإصلاح ما فسد من أعضاء البدن. والمرحلة الثالثة «وقت الحفظ» وتشير إلى الوقت الذى يعقب الجراحة. ويجب أن يحافظ المريض فى هذا الوقت على نفسه، كما يجب أن يحافظ من حوله من المرضين والخدم على حالته الصحية التى تركها عليه الجراح، فيتم له الشفاء إن شاء الله تعالى.

(١) قطاية - ابن النفيس ١٠٣.

ويسجل ابن النفيس فى كل من هذه المراحل الثلاث وصفاً دقيقاً لكل من واجبات الجراح والمريض والممرضين له. كما يسجل طرق استخدام وحفظ الآلات الجراحية وغيرها مما تستلزمه الجراحة والعلاج[1].

١٣- كتاب المهذب فى الكحل المجرّب

وقد عرض الدكتور سلمان قطاية[2]. هذا الكتاب، وما أضافه من جديد إلى العلم فى ذلك الوقت، وما صحح به ابن النفيس أخطاء الآخرين، مما يعد مفخرة لابن النفيس فقط، بل لعلماء المسلمين جميعاً.

وفى عرضه للكتاب ولإسهامات ابن النفيس فى تشريح العين، يقول الدكتور قطاية: يتألف المهذب من نمطين: يحتوى الأول على خمسة أبواب تتناول التشريح والفسيولوجيا، وعلم السريريات. بينما يتكون النمط الثانى من سبع جمل تتناول أمراض العين طبقة طبقة، ومنطقة منطقة.

وقد اكتشف الدكتور قطاية[3] بعض الحقائق العلمية التى لم يتطرق اليها أحد، منها:

(أ) " ينتقد ابن النفيس ادعاء ابن سينا بأن وراء المقلة عضلة تدعم العصبة المجوفة " (العصب البصرى) فيقول ابن النفيس: «إن هذا جزاف .... إن هذه العضلة غير ملاقية للعصب النورى البتة، إذ هى وراء الطبقة الصلبة».

ويعلق الدكتور قطاية: والواقع أن التشريح الحديث قد أثبت عدم وجود هذه العضلة إلا فى بعض الحيوانات، وهذا دليل على أن ابن النفيس شرح الإنسان وليس الحيوان.

(ب) كان بعض الأطباء يعتقد أن العصب الشمى ليس عصباً بل امتداد للدماغ ولا أهمية فسيولوجية له. أمثال على بن عيسى (ت ١٠١٠م) النصرانى فى كتابه «تذكرة الكحالين». ويصحح ابن النفيس هذا الخطأ فيقول: " الشم يتم بالزائدتين الشبيهتين بحلمتى الثدى. اللتين فى مقدمة الدماغ، وهما أصلب من الدماغ، وألين من العصب".

(جـ) صحح ابن النفيس خطأ تشريحياً هاماً وقع فيه جالينوس وكل من نقل عنه. كان جالينوس يقول بأن العصبين البصريين لايتقاطعان بل يتلامسان، ولكن ابن النفيس استدرك هذا الخطأ فقال: " إن العصبتين متقاطعتان بحيث تنفذ اليمنى منهما إلى العين اليسرى، واليسرى إلى العين اليمنى، وجالينوس يعتقد خلاف ذلك، وأن العصبتين لا تتقاطعان بل تتلاقيان، وينبعث كل واحد منهما عند

---

(١) قطاية – ابن النفيس ٩٢

(٢) قطاية – ابن النفيس ١١١ – ١١٤

(٣) نفس المصدر ١١٢

موضع التلاقى حتى يكون هناك موضع مشترك لتجويفها ثم يتفارقان فتذهب كل واحدة منهما إلى العين المحاذية لمبدئه، وهذا هو الرأى المشـــهور، وبه يقول الشـــيخ (أى أبن ســـينا) أيضاً، وفى الحقيقة أنه ليس كذلك ".

(د) وفـــى معالجة الكاتاراكت[1] يقول ابن النفيـــس: «يخرج فيها الماء وذلك بأن يكون المقدح مجوفا، فإذا حصل الثقب الذى فى رأس المقدح فى الماء، أمر (الطبيب) الخادم بالمص، وهو يشاهد الحدقة، فإذا نقيت أمر بإبطال المص، ويضيف قائلاً: « وهذه الطريقة لاشك أنها أجود الطرق».

١٤- المختصر فى السيرة النبوية

١٥- الوريقات فى علم المنطق

وهو مختصر لما قاله أرسطو فى المنطق.

١٦- شرح طبيعة الانسان لأبقراط.

١٧- الرسالة الكاملية

ويعرف أيضا باسم: «رسالة فاضل بن ناطق، وكامل اسم بطل القصة، وفاضل بن ناطق هو الراوية.

وكان الفيلســـوف الأندلســـى ابن طفيل (بداية القرن الثالث عشـــر ميلادى) قد كتب رســـالة «حى بن يقظان» انتهى فيها إلى الصوفية. وفى الأخبار[2] أن ابن النفيس كتب كتاباً صغيراً عارض به رســـالة حى ابن يقظان لابن ســـينا ووسمه بكتاب فاضل بن ناطق وانتصر فيه لمذهب أهل الإســـلام وآرائهم فى النبوات والشـــرائع والبعث الجثمانى وخراب العالم ولقد أبدع فيهـــا ودل ذلك على قدرته وصحة ذهنه وتمكنه من العلوم العقلية.

وقد حقق الرســـالة الكاملية ما يرهوف وشاخت عن مخطوطة دار الكتب فى القاهرة، ومخطوطة المكتبة السليمانية باستامبول، ونشرتها جامعة أوكسفورد سنة ١٩٦٨م تحت اسم:

Theologus Autodidactus

وتتضمن الرسالة أربعة فنون:

الفن الأول: فى كيفية تكون هذا الإنسان المسمى بكامل وكيفية وصوله إلى تعرف العلوم والنبوات.

---

(١) الكتاركتا كلمة يونانية تعنى ســـقوط الماء أو الشـــلال. والســـبب فى ذلك أن المريض فى بداية الداء يرى نقاطا بيضاء تزدادمع كثرة الأيام، وتتكون من فوق إلى تحت فهى تشبه سقوط الماء والشلال. قطاية – ابن النفيس ص ١١٣.

(٢) أحمد عيسى – معجم الأطباء ٢٩٤ .

الفن الثاني: فى كيفية وصوله إلى تعرف السيرة النبوية.

الفن الثالث: فى كيفية وصوله إلى تعرف السنن الشرعية.

الفن الرابع: فى كيفية وصوله إلى معرفة الحوادث التى تكون بعد وفاة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وقد ألقى الدكتور أبو شادى الروبى محاضرة فى هذا الموضوع فى المؤتمر الثانى للطب الإسلامى بالكويت سنة ١٩٨٢[٢] .

* * *

(١) أبو شادى الروبى – ابن النفيس فيلسوفا ص ٤٢٥ – ٤٣٤

obeikandl.com